برنارد شو

نساءِ القرن العشرين

أو من يدري

مسرحية في أربعة فصول

تقديم وترجمة

د. جمال الدين الرمادي

الكتاب: نساء القرن العشرين(مسرحية)

الكاتب: برنارد شو

تقديم وترجمة: د. جمال الدين الرمادي

الطبعة: ٢٠٢٢

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة - جمهورية مصر العربية

هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥

فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

http://www. bookapa.com **E-mail: info@bookapa.com**

دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر

برنارد شو

نساء القرن العشرين (مسرحية)/ برنارد شو, تقديم وترجمة: د. جمال الدين الرمادي

– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.

٢٤٥ ص، ١٨*٢١ سم.

الترقيم الدولى: ٥ – ٥٢٦ – ٩٩١ – ٩٧٧– ٩٧٨

أ – العنوان رقم الإيداع : ١٠٧٦١ / ٢٠٢٢

نساء القرن العشرين

(مسرحية)

وكالة الصحافة العربية
«ناشرون»

شخصيات

فيرجوس كراميتون

مستر بوهن

فينش. م كوماس

مستر فالنتين

فيليب كلاندون

جو

الجرسون

الوصيفة

مسز كلاندون

دوللي كلاندون

جلوريا كلاندون

برنارد شو ومسرحيته

تصدير

هذه مسرحية طريفة من مسرحيات الأديب الإيرلندي الساخر برناردشو وهو علم من أعلام الأدب الإنجليزي، صار صيته في الافاق، وذاع إنتاجه الأدبي في شتى لغات العالم, وقد ولد في مدينة دبلن عام ١٨٥٦ وتوفي عام ١٩٥٠.

وقد استهل برناردشو حياته الأدبية في القرن التاسع عشر ككاتب قصصي، بيد أن نجمه سرعان ما التمع في ميدان الصحافة كناقد فني للكتب الأدبية، والمؤلفات العلمية، والصور الفنية، والقطع الموسيقية، والمسرحيات الدرامية في الصحف.

ولم يلبث برناردشو أن اعتنق المذهب الاشتراكي وراح يدافع عنه ويفضله، واندمج في الجماعة الفابية ومضى يخطب بين الجماهير موضحاً قيمة المذهب الاشتراكي وضرورة تطبيقه في المجتمع الإنجليزي.

ومنذ ذلك الوقت تألق نجم برناردشو ككاتب اشتراكي ممتاز، وفيلسوف اقتصادي له وزنه وخطره في تاريخ الفكر العالمي.

وكتب برناردشو طائفة من المقالات النقدية عن ابسن، المؤلف المسرحي النرويجي الشهير.

ومن أشهر كتبه "خلاصة الأبسنية" ووضح فيه طريقة ابسن في التأليف المسرحي، وعرض لآرائه وأكاره عرضاً جذاباً خلاباً، وعده من عمالقة كتاب المسرح في أوروبا.

كما تعرض للمذهب الفردي الذي اتخذه ابسن في مسرحياته وحمل لواءه بين كتاب المسرح العالميين.

وفي عام ١٨٩٢ استهل برناردشو انتاجه المسرحي وقد قوبل في بداية الأمر بانتقاد مر شديد من النقاد الأوروبيين بيد أنه استطاع أن يصمد في الميدان، وغمر الأوساط الأدبية بإنتاجه المسرحي الضخم.

وقد ظل شو يدافع عن الاشتراكي بكل ما استطاع من جهد، فكان يدبج المقالات المستفيضة، ويكتب النشرات العديدة، ويخطب في الجموع الفقيرة في هايدبارك في الشوارع والطرقات، واشترك في كثير من الاجتماعات وألقى طائفة كبيرة من المحاضرات، وكاد يصطدم في بعض المظاهرات برجال الأمن العام.

وكان شو من دعاة المذهب الاشتراكي أو الاشتراكية الفابية بتعبير أدق مع وليم وجراهام والاس، وسيدني أوليفر ووليام كلارك وغيرهم من أعضاء الجمعية الفابية.

وتهدف هذه الجمعية إلى التدرج في تحقيق الاشتراكية وتحديد الأجور وساعات العمل والعناية بالحالة الصحية والتأمين وحق الانتخاب للبالغين وإلغاء مجلس للوردات، والملكية العامة للأرض، ورفع معدلات الضرائب بحيث تحقق المساواة والتعاون الديمقراطي على أسس عالمية.

وساهم برناردشو في هذه الدعوة الاشتراكية الفابية، ومحو الاستغلال للعمال داخل البلاد والشعوب الضعيفة التي أخضعها الاستعمار.

وقد حاول برناردشو أن يدخل أفكاره الاشتراكية في بعض مسرحياته بيد أنه في مسرحيات أخرى جنح إلى مدح الفاشية فألف مسرحيته عن موسوليني ووضح فيها أن الجمهور يمكن خداعة وأن مشاعره يمكن العبث بها والسخرية منها.

وكان برناردشو يقول: "أن الرجال الأغنياء بدون إيمان هم أخطر على المجتمع الحديث من النساء الفقيرات بغير عفة"..

كما كان يقول: "اجمع ثروة وأنت جد الشعب كله يجتمع على وصفك بأنك جنتلمان"

وانتقد برناردشو المجتمع الإنساني الذي نحيا فيه في شتى مسرحياته وكان يقول في ذلك:

"أننا نطلى المدينة بطلاء زائف، فنرتكب الأفعال القاسية بطريقة رحيمة ونقول الأشياء المريرة بصوت رفيق ونخذر أصدقاءنا بالكلورفورم ونحن نمزقهم شر ممزق".

كما قال: "أن المتوحش يسجد لآلهة من خشب وحجر أما التمدين فيسجد لآلهة من لحم ودم".

واشتملت مسرحيات شو على نقداته للمجتمع- وكانت نقداته واقعية لا عرف التزويق ولا التنميق، ولا تعترف بالأغلال الرقيقة الناعمة

الملمس ولذلك يعتبر شو واضح أساس المسرح الواقعي في انجلترا، لا بمفهومه الواقعي فحسب وإنما بكل اتجاهاته الفكرية وأفكاره الدرامية.

ولذلك كان أكبر أبطال شو من الطبقة الوسطى، فليس كل أبطاله من طراز مارك أنطونيوس أو رتشارد الثاني أو الأمير هاملت أو مكبت، أو الملك لير، إنما أبطاله كما في هذه المسرحية التي نقدمها طبيب أسناًن في عنفوان حياته الطبية وأوج شبابه، وفتاة مدللة هي (دوللى) وفتاة جميلة مثقفة هي "جلوريا".

حقاً كتب شو عن قيصر وكليوبترة كما كتب عن موسوليني، بيد أن هذا الاتجاه التاريخي لا يحتاج إلى إنتاج شو كما احتاج إلى مؤلفات شكسبير.

وكل مسرحيات شو تدور حول أفكار معينة تدور في رأسه ويحاول أن يخرجها على الوجود ويضفيها على شخصيات رواياته.

فيعالج الدين ونفاق المتدينين في مسرحية "الميجرباربارا" ويعالج بيوت الطبقة الفقيرة، وأكواخ البائسين، واستقلال الطبقة الغنية في مسرحية "بيوت الأرامل" ويعالج فصل الطبقات ومظاهره الكاذبة في مسرحية "بيجماليون".

ويعالج موضوع الاستعمار والاستبداد والاستغلال في مسرحية "جزيرة جون بول الأخرى".

وهكذا دواليك فلا نرى مسرحية من مسرحيات "شو" إلا ونجده يحاول أن يعطي القارئ أو المشاهد فكرة عن رأي يجيش في خلده أو شعور

بين جوانحه ويعتمل في صدره.

وكان سلاح "شو" في ذلك الفكاهة والسخرية والتعريض وإدارة الحوار الشيق الجذاب على لسان أبطاله.

ولا يهتم "شو" في مسرحياته بحركة الشخصيات اهتماماً بالغاً إنما يهتم إلى جانب ذلك بحركة الأفكار في هذه المسرحيات.

فالحياة عنده ليست التقاء بين الأشخاص واجتماعا بين الأفراد فحسب إنما هي التقاء بين الأفكار، وقد ينتج عن هذا اللقاء اتفاق أو افتراق.

وفي مسرحيات "الاستعداد للزواج" "والزواج غير المتكافئ يأخذ شو في مناقشة موضوعات الزواج مناقشة صريحة أخاذة.

ويدلى كل من أبطال المسرحيتين رأيه في الزواج، وتتشابك الآراء وتتعارض.

فهناك صراع فكري واضح بين الأشخاص في مسرحيات "شو"، والحوادث المادية غير متوافرة في مسرح "شو"، ولا عنف فيها ولا إثارة. قدر ما تشيرنا الأفكار التي يطلع بها علينا في مسرحياته فتستأثر بانتباهنا وتستحوذ على مشاعرنا.

وقد ظل "شو" يؤلف المسرحيات حتى أصيب بكسر في فخذه وكان يكتب كوميديا جديدة لم يتمها.

واعترف بأن أكثر أبطال مسرحياته قد بليت شخصياتهم على صورته

هو، وأنه استخدم جميع أصدقائه في رسم شخصيات بقية أفراد الروايات. وكان دخل برناردشو في مستهل حياته الأدبية لا يتجاوز ثمانية عشر جنيها في العام، وحين أخذ بأسباب الأدب والفن ظل تسعة أعوام يكتب النقد المسرحي في إحدى الصحف لقاء ستة جنيهات عن المدة كلها.

غير أنه في سنواته الأخيرة أصبح صاحب ثروة كبيرة وترجمت مسرحياته إلى جميع اللغات تقريباً.

ومثل بعض مسرحياته في السينما وظفر بجائزة نوبل للأدب في عام ١٩٢٦ ومسرحية (من يدري) أو "نساء القرن العشرين" كما أحببنا أن نطلق عليها تدور حول قصة طبيب شاب يعالج الأسنان ويصادف ألواناً مختلفة من النساء، وبين من يقابلهن الفتاة "دوللى" وهي فتاة مرحة منطلقة تأخذ الحياة مأخذ السخرية والعبث وهي على النقيض من شقيقتها جلوريا التي تحمل راية الإصلاح في القرن العشرين، وتحاول أن توضح منزلة المرأة في المجتمع الجديد، وقد تأثرت بمجموعة من الكتب التي نشرت حول حرية المرأة ومكانتها الاجتماعية.

ولذلك فهي تحاول أن تدلى برأيها في الحياة والزواج بصراحة ووضوح وتطالب بتحرير المرأة من عبودية الرجل.

وكذلك رسم لنا "شو" شخصية "مسز كلاندون" فهي امرأة تأثرت بما كتب جون ستيوارت مل في تحرير المرأة. ولا ترتدي هذه الملابس غير المتمشية مع "المودة" مع أنها أم لجلوريا التي تنعدى العشرين و"دوللى" التي تصغر عن ذلك و"فيل" وهو توأم لدوللى.

وقد هجرت مسز كلاندون زوجها منذ فترة بعيدة مما كان عقبة كأداء في زواج بناتها.

وكانت جلوريا رقيقة الإحساس، عميقة المشاعر، تحس هذا النقص من أغوار قلبها فتثور ثورة عارمة.

وقد شاءت الصدف أن تلتقي الأسرة بالأب دون أن يعرف أبناءه شخصيته.

وهنا يلاحظ الأب في هذا الانطلاق الذي يتمثل في شخصية دوللى وهذه الصرامة التي تتمثل في شخصية جلوريا.

والمسرحية مليئة بالأفكار أكثر مما هي مليئة بالأحداث، وإن كان شو لا يجعل القصة تسير على غير هدى.

وجعل "شو" شخصية "فالنتين" أو طبيب الأسنان مثلا للكفاح الذي يلجأ ؟إليه الشباب ثم يلج الحب إلى قلبه فتملكه الحيرة بين مطالب العيش ومتاعب الحب بل دنياه الجميلة المشرقة.

وأحسن شو تحريك شخصيات مسرحيته كما أحسن تحريك أفكاره وكانت السخرية الرائدة في المسرحية من البداية حتى النهاية.

وكان الصراع الفكري شغله الشاغل الذي يحاول أن يبرزه ويوضحه جليا للعيان.

وقد كب شو مسرحية "من يدري" عام ١٨٩٧ في نهاية القرن التاسع عشر، وقبل أن يبدأ القرن العشرون بثلاث سنوات، وكانت الدعوة إلى

حرية المرأة تصك السماع، وتملأ الآذان وتغمر المجتمعات.

ومن هنا كانت مسرحية شو "من يدري" أو نساء القرن العشرين كما أطلقنا عليها اعتماداً على عبارات متكررة صدرت من أبطال الرواية مصورة للانطلاقة الفكرية الجديدة لتحرير المرأة في العصر الحديث وما صادف ذلك من مشكلات اجتماعية، وصراع بين المبادئ والأفكار.

ونستطيع أن نتبين مذهب شو في السخرية من خلال ما ذكره العالم الكبير، أينشتين " برناردشو" في عيد ميلاده التسعين "إنك قد أدركت حب الناس وإعجابهم المرح بلك عن طريق قادت الآخرين إلى الاستشهاد، ولم تعظ الناس بمواعظ الأخلاق وكفى، بل اجترأت على السخرية من أشياء يحسبها غيرك فوق أن تنال، وما من أحد يقدر على عمل كعملك غير الفنان المولود لفنه، وقد فتحت صندوق لعبك فأخرجت منه دمى لإعداد لها، تماثل الناس ولكنها مع هذه المماثلة ليست من لحم ودم بل من روح وجمال.

وهي في ناحية من النواحي الأخرى أصدق تمثيلا للرجال والنساء حتى لتجعلنا ننسى أنها لم تكن من خلق الطبيعة بل من حلق برناردشو".

أما الشاعر "بيتس" فإنه قال عن "شو" أنه أحد أبناء النور الذين نشأوا بين أبناء الدنيا، أنه منطق بلغتهم ويفكر مثلهم ولكنه مأخوذ بطبيعة أرفع وأسمى بـ.

هذا هو الكاتب وهذه هي مسرحيته، مسرحية المؤلف الذي ظل يعمل حتى توفى وهو في نحو الرابعة والتسعين من عمره عام ١٩٥٠ وظل

يقاوم ويقاوم حتى الرمق الأخير.

وهو يحب العمل ويقول:

"نموت جوعا إذا نحن كففنا عن العمل المنتج كل يوم، وإذا وجدت إنساناً فارغاً لا يعمل فإن هناك من يعمل لنفسه ولهن وإلا لما وجد أحدهما طعامه".

ولذلك، قال بطرس الرسول:

"إذا لم يعمل الإنسان وينتج فإنه لن يجد ما يأكل".

هذه مسرحية "من يدري" وأن خلف مسرحياته على حد تعبيره علماً اجتماعياً مدروساً.

جمال الدين الرمادي

الفصل الأول

تفتح الستار على منظر حجرة العمليات في عيادة أحد أطباء الأسنان في صباح يوم جميل من أيام شهر أغسطس عام ١٨٩٦، والحجرة مؤنثة بأثاث فاخر، ولها شرفة تطل على البحر في منطقة غزيرة المياه على شاطئ توربای، في ديفن ويوجد كرسي العمليات في منتصفها بين وسط الغرفة وأحد الأركان.

فلو نظر إلى الغرفة من خلال النافذة التي تواجه كرسي العمليات لوجدت المدفأة في وسط الجدار أمامك، ووجدت الباب عن يسارك، بينما تجد شهادة الدبلوم لأحد أطباء الأسنان معلقة فوق رف موجود على الحائط. ويوجد مقعد وثير بجانب المدفأة وكرسي نظيف بدون مسند، وأريكة بمشد لولي، وبعض الأدوات الطبية و"هون" صغير، وموقد في الركن الأيمن من الغرفة، وتطل النافذة على البحر وتوجد تحتها منضدة للكتابة وفوقها نشافة ومفكرة، وأمام المنضدة كرسي مكتب، وفي أحد الجوانب يوجد مقعد طويل ودولاب مملوء بالأدوات الطبية بالقرب من كرسي العمليات، كما توجد سجادة على الأرض. وتغطي الجدران بأوراق تنسب إلى منتصف العصر الفيكتوري، وهي ذات ألوان مبهجة، ولا تستخدم في تغطية جدران الحجرات التي تطرق كل يوم.

ويوجد في الغرفة شخصان أحدهما شابة جميلة الصورة، يدل زيها الذي ارتدته فوق جسدها الرقيق، ومرحها الشديد على أنها لم تتجاوز ثمانية عشر ربيعاً، كما يتضح لنا أن هذه المخلوقة الصغيرة لا تنتمي إلى هذه الغرفة بل ولا إلى هذا البلد، لأن مظهرها الرقيق، ووجهها الذي لوحته أشعة الشمس حتى أصبح في لون "البسكويت" يدل على أن شمساً

أخرى غير شمس انجلترا هي التي تركت فيها هذا الأثر، وتحمل الفتاة في يدها كوباً من الماء، وتعلو وجهها سحابة من التجلد الذي عرف به الاسبارطيون، وتبدو أمارتها على ثغرها وحاجبيها المستديرين.

ويقف طبيب الأسنان يرمقها بنظرات جراح راض مطمئن النفس، وهو يبدو في الثلاثين من عمره، ولا توحي سيماؤه بانه رجل متخم بالعمل، إنما تدل على أنه طبيب جديد يخطب ود زبائنه بما يسوقه إليهم من حديث عذب ومغامرات طريفة؛ ويلوح من منظره أنه جاد في سلوكه، ولكن شموخه بأنفه يظهره في مظهر الهائلين الذين يتصنعون الجد، أما عيناه فرائقتان، وخفيفتا الحركة في محاجرهما، وحجمهما مناسب، ولكنهما زائغتا البصر إلى حد ما، وجهته جميلة وعريضة، وذقنه وأنفه جميلان كأنوف وذقون الفرسان، وهو على العموم طبيب مبتدئ- جذاب ويحتمل أن يوليه رجل الأعمال عندما يراه تقديراً طيباً.

الفتاة: (وهي تناوله الكوب) أشكرك..

(بالرغم من محياها الأسمر لا تتكلم بلهجة غريبة).

طبيب الأسنان: (واضعا الكوب فوق حافة دولاب الأدوات الطبية) هذه هي السنة الأولى...

الفتاة: (في دهشة) الأولى.. هل تقصد بذلك أنك بدأت تمرينك علي..

الطبيب: لابد لكل طبيب أسنان ان يبدأ تمرينه على أي إنسان..

الفتاة: أي إنسان في المستشفى.. لا مع الناس الذين يدفعون..

الطبيب: (ضاحكاً) فترة المستشفى لا تحسب.. إنني أقصد أنها السنة الأولى في حياتي العملية الخاصة. لماذا لا تسمحين لي بإعطائك مخدرا؟

الفتاة: لأنك سبق أن قلت إن هذا يكلفني خمسة شلنات فوق الأجر المعتاد.

الطبيب: (وقد صدم بهذا الكلام) لا تقولي هذا. فمعناه أنني سببت لك الألم من أجل خمسة شلنات.

الفتاة: (في وقاحة باردة) نعم إنك فعلت هذا..

(تنهض قائمة) لماذا لا تفعل عكس هذا. هل من مهمتك أن تؤلم الناس؟

(الطبيب مسرور لهذه المعاملة، ويتقدم في خفة)

(لتنظيف أدواته الطبية ويضعها في مكانها، بينما)

(تحاول الفتاة أن تصلح ثوبها وهو ينظر ليها)

(بنظرات فضولية ثم تذهب إلى النافذة العريضة)

إنك تطل على منظر رائع للبحر من حجرتك؟.

هل شقتك غالية؟

الطبيب: نعم.

الفتاة: هل تمتلك كل هذا البيت؟

الطبيب: نعم.

الفتاة: أنا اعتقدت هذا.

(تميل على الكرسي الموجود أمام منضدة الكتابة وتأخذ في تحريكه على رجل واحدة وهي تتكلم).

إن أثاثك ليس من أحدث طراز.. أليس كذلك يا دكتور؟

الطبيب: هذا الأثاث ليس ملكى.. إنه أثاث صاحب البيت.

الفتاة: هل هو يمتلك كرسي العمليات هذا؟

(تشير إلى كرسي العمليات).

الطبيب: لا.. إنني حصلت عليه بطريق الشراء بالتقسيط.

الفتاة: (باستخفاف) انني اعتقدت هذا.

(تبحث عن معلومات أكثر).

إنني أظن أنك لست هنا منذ أمد طويل.

الطبيب: منذ ستة أسابيع.. هل هناك شيء آخر تريدين أن تحيطي به علما؟

الفتاة: (وهي لا تعبأ بملاحظته) هل لك أسرة؟

الطبيب: إنني غير متزوج.

الفتاة: طبعاً لا.. إن أي إنسان يلاحظ هذا بوضوح ولكني أعني ألك إخوات وأم وغير ذلك..؟

الطبيب: ليسوا معي في هذه الشقة.

الفتاة: إذا كنت أنت هنا منذ ستة أسابيع وكانت سنى هي السنة الأولى في حياتك العملية فإنه لابد أن تكون خبرتك غير واسعة تماماً.. أليس كذلك؟

الطبيب: إنها ليست واسعة جدا.

(يغلق دولاب الأدوات الطبية بعد أن ينتهي م نوضع الأدوات فيه).

الفتاة: (وهي تخرج قطعة من النقود) هل تتقاضي خمسة شلنات عن كل شيء؟.

الطبيب: نعم.

الفتاة: لماذا؟

الطبيب: أنه هو النظام المتبع.. إني الطبيب الذي يمكن أن يطلق عليه... طبيب الخمسة شلنات؟

الفتاة: هذا جميل. خذ.

(وهي تمسك قطعة النقود)

خذ فهذه قطعة جديدة من ذات خمسة شلنات..

إنها أجرك الأول الذي تتقاضاه.. فأعمل ثقبا فيها بهذه الأداة التي تثقب بها أسنان الناس وضعها كحرز فوق سوار ساعتك..

الطبيب: أشكرك..

الوصيفة: (وقد ظهرت أمام الباب) قيق الآنسة على الباب

يا سيدي.. (فتى أنيق يبدو انه توأم لهذه الفتاة يدخل في شغف إلى الحجرة ويرتدي حلة من الصوف الناعم ذي اللون الرمادي، وفوقها سترة (الفراك) الطويلة مخططة بالحرير البنى، ويحمل في يده قبعة طويلة وقفازاً قاتماً. وله مثل شقيقته الملامح السمراء، وهو في نفس حجمها، ولكنه مرن الحركة، قوى العضلات، وذو لهجة عميقة صارمة في الحديث، وأخلاق متينة، وأسلوب خاص يحسده عليه الرجال الذين يكبرونه بضعف سنه. والاعتداد بالنفس مظهر من مظاهر الشرف في أخلاقه. ولكن سبيله في ذلك سبيل الطفل عندما يونبه ضميره. وليس لهذه الظاهرة تأثير فيمن يكبرونه سناً، وقد تكون غير محتملة عند شاب يقل عنه سناً وإدراكا. وهو خجول يدخل من الباب ومعه سؤال في نفس اللحظة

التي يدخل فيها...)

الشاب: هل أتيت في الموعد المناسب؟

الفتاة: كلا.. فقد حضرت بعد أن انتهى كل شيء؟

الشابك: هل صرخت؟

الفتاة: آه.. لقد كان شيئاً فظيعاً.. دكتور فالنتين.. هذا هو أخي فيليب وهذا هو طبيب أسناًني الجديد..

(ينحني فيليب وفالنتين كل للآخر، وتتقدم

(الفتاة بينما يتبع كل منهم أنفاس الآخر)

إنه هنا منذ ستة أسابيع.. وهو أعزب لم يتزوج، وليس هذا البيت ملكا له.. وأثاث الغرفة يملكه صاحب البيت، أما الأدوات الطبية فقد اشتراها بالتقسيط....

وقد خلع سنى في هدوء.. ورقه.. وهو وأنا أصبحنا صديقين كبيرين.

فيليب: ؟ هل لى أن أسأل بعض الأسئلة

الفتاة: (كأنما هي لا تقوى على ذلك) لا.. لا

فيليب: (إلى فالنتين) إنني سعيد أن أسمع ذلك، ومسرور كل السرور لأنك اهتممت بنا يا دكتور فالنتين، والحقيقة أننا لم نزر انجلترا قبل ذلك وقد أخبرتنا والدتنا أن الناس هنا

قد لا يطيقوننا...

تعال... وتناول الغداء معنا.

(فالنتين يقف مدهوشاً للتطور العجيب الذي)

(طرأ على معرفته بهما حيث أنها قفزت قفزات)

(سريعة لم يكن يتوقعها، ولكنه لم يملك وقتاً)

(للإجابة لأن المحادثة بين التوأمين كانت سريعة)

(ومتصلة ....)

الفتاة: لتحضر.. لتأكل معنا يا دكتور فالنتين.

فيليب: تعال في فندق سان مارينو في الساعة الواحدة والنصف.

الفتاة: ونحن في ذلك الوقت نستطيع أن نخبز والدتنا أن رجلا إنجليزيا مهذبا سوف يحضر لتناول الغداء معنا.

فيليب: لا تقل لنا لا يا دكتور فالنتين.. لا بد أن تحضر.

فالنتين: لا أقول "لا" إننى لم أقل "لا" بتاتا.. ولكن هل لي أن أسأل عمن سيكون لي الشرف في التسلية معهم؟

إنه لمن المستحيل تماماً أن أتناول الغداء في فندق سان مارينو مع شخصين غريبين..

الفتاة: ما هذا الذي تقوله؟ إنك لم تعالج سوى مريض واحد في

ستة أسابيع أي فرق بين أن تجلس وحيداً وبين أناس؟

فيليب: (في نصح) لا يا دوللى إن معلوماتي عن الطبيعة البشرية تجعلني أوافق دكتور فالنتين على رأيه فهو على حق فيما يقول.

دعني أقدم لك الآنسة دوروني كلاندون المعروفة باسم "دوللى".

(فالنتين ينحني لدوللى ويخفض الرأس لفيليب)

أما أنا ففيليب كلاندون.. ونحن من بلد "ماديرا"

ولكننا محترمان إلى أبعد منها..

فالنتين: هل أنت تنتمي إلى..؟

دوللى: (وهي تصيح من اليأس صيحة غير متوقعة) نعم..

نحن كذلك.

فالنتين: (في دهشة) إنني متأسف..

دوللى: نحن المتأسفون.. نحن المتأسفون قبل.. إنهم يعرفون كل شيء عنا في انجلترا..

وأنت يا دكتور فالنتين نكلا تستطيع أن تقدر كم يكون الإنسان مجنوناً لكي ينتمي إلى رجل مشهور إذ لن تكون لنا قيمة في أي مكان من أجل أنفسنا.

فالنتين: أرجو أن صفحا عني.. فإن "الجنتلمان" الذي كنت أعنى ليس مشهوراً..

دوللى: أي جنتلمان؟

فيليب: أي جنتلمان؟

فالنتين: لقد كنت أريد أن أسأل هل الآنسة هي بنت مستر دنسور كلاندون في نيوبرى هول؟

دوللى: لا..

فيليب: حسناً يا دوللى.. كيف تعرفين أنك لست كذلك؟

دوللى: (في ابتهاج) لقد نسيت.. طبعاً يمكن أن أكون أنا ابنته؟

فالنتين: ألا تعرفين؟

فيليب: ولا هذا على الأقل..

دوللى: أنت طفل عاقل..

(فالنتين يتحرك في عصبية عندما يسمع الصوت الذي صدر من فيليب وبالرغم من أنها صيحة وقتية إلا أنها كانت أشبه بقطعة من الحرير وقد تمزقت إلى قطعتين في ومضة البرق. وكان هذا نتيجة جهاده الطويل في الحد من طيش دوللى..)

الحقيقة يا دكتور فالنتين أننا أبناء مدام لانفرى كلاندون. وهي مؤلفة مشهورة في "ماديرا" ولا يستغنى بين عن مؤلفاتها. وحضرنا إلى انجلترا حتى ننصرف عنها.

إنهم يطلقون عليها: مؤلفات القرن العشرين.

دوللى: "فنون الطهي في القرن العشرين".

فيليب: "مذاهب القرن العشرين".

دوللى: "أزياء القرن العشرين".

فيليب: "أخلاق القرن العشرين".

دوللى: "أبناء القرن العشرين".

فيليب: "آباء القرن العشرين".

دوللى: وتباع بنصف دولار إذا كانت مبطنة بقماش معرج.

فيليب: وتباع بدولارين إذا كانت مبطنة بالكتاب.. لا تستطيع أسرة أن تستغنى عنها.. إقرأها يا دكتور فالنتين فإنها سوف تزيد معلوماتك.

دوللى: ولكن ليس إلى الحد الذي وصلنا إليه.. من فضلك

فيليب: هذا صحيح.. أننا نفضل الناس الذين لا يملكون عقولا مشحونة بالمعلومات فعقولنا قد قاومت كل محاولة قامت بها والدتنا لتحسينها.

فالنتين: (في غموض يصيح) هيه..

دوللى: (وهي تتبع صدى حديثه في تساؤل) هيه.. إنه بافيل يفضل الناس ذوى العقول المتقدمة.

فيليب: في هذه الحالة يجب علينا أن نقدمه إلى فتاة القرن العشرين نقدمه إلى شقيقتنا.. جلوريا.

دوللى: (في إعجاب فلتة من فلتات الطبيعة.

فيليب: الإبنة العاملة..

دوللى: فخر "ماديرا".

فيليب: مثال الجمال.

دوللى: (هبطت من سماء الشعر إلى الواقع) هراء.. فلا مظهر لها..

فالنتين: في يأس هل تأذنان لي بكلمة؟

فيليب: (في أدب) أعذرنا، تفضل باستئناف حديثك.

دوللى: (في دعة) إني آسفة جداً.

فالنتين: (وهو يحاول أن يعاملهما معاملة أبوية) الحقيقة أني يجب أن يحطكما علما ببعض الملاحظات أيها الشباب.

دوللى: (تقطع الحديث مرة ثانية) تكلم.. إني أحب أن أعرف ذلك.. كم سنك الآن يا ترى؟

فيليب: فوق الثلاثين.

دوللي: إنه لم يتجاوزها بعد..

فيليب: (في ثقة) لقد تجاوزها.

دوللي: (في تأكيد) في السابعة والعشرين.

فيليب: (معززا رأيه) في الثالثة والثلاثين.

دوللي: اسكت..

فيليب: (مخاطباً فالنتين).. أرجو يا مستر فالنتين.

فالنتين: (محتجا) الحقيقة أني في الواحد والثلاثين.

فيليب: (إلى دوللي) أنت مخطئة..

دوللي: وأنت كنت مخطئاً..

فيليب: (كأنما عاد إلى ضميره فجأة) أننا قد نسينا سلوكنا يا دوللي.

دوللي: (مستجيبة للضمير).. نعم نحن فعلنا ذلك.

فيليب: (معتذراً) أننا قد قاطعنا حديثك يا دكتور فالنتين.

دوللي: أظن أنك كنت تعمل على تحسين أفكارنا.

فالنتين: الحقيقة أن..

فيليب: سلوكنا؟.. (مقاطعاً إياه)

فالنتين: (في عصبية) أوه.. دعاني أتكلم..

دوللى: لقد أعدنا القصة القديمة.. أننا نتكلم كثيراً.

فيليب: نعم أننا نفعل ذلك معاً.

(يجلس على ذراع كرسي العمليات).

دوللى: أم..

(تجلس على الكرسي الموجود أمام منضدة الكتابة) وتضع أطراف أصابعها على فمها)

فالنتين: أشكرك.

(يحضر الكرسي الذي ليس له مسند من أحد)

(أركان الغرفة ثم يجلس عليه كأنما استعد للحكم)

(وهما ينصتان إليه في حدة، ويأخذ في مخاطبة دوللى أولا...)

هل لي أن أسأل أولا.. هل حضرت قبل ذلك إلى مكان للراحة بجوار البحر في انجلترا؟

(تحرك دوللى رأسها في هدوء واكتئاب ثم يوجه)

(الخطاب إلى فيليب الذي يحرك رأسه في سرعة وحركة)

(معبرة ....)

إني اعتقدت ذلك.. حسناً يا مستر كلاندون إن معرفتنا كانت منذ مدة قصيرة غير إنها اشتبكت بسرعة..

ولقد جمعت من المعلومات عنكما ما أعطاني فكرة عن أنكما غير قادرين على إدراك كنه الحياة في الأماكن انجليزية التي يقصدها الناس في طلب الصحة..

صدقاني أن المسألة ليست مسألة سلوك ولا مظهر..

ففي هاتين الناحيتين نحن نتمتع بحرية غير معلومة في ماديرا.

(دوللى تتحرك رأسها في عنف).

إنني أوكد لكما ذلك. فشقيقة اللورد كرس تركب دراجتها وهي ترتدي البنطلون.. وزوجة المدير تدعو إلى التخفف من الأزياء وترتدي حذاء صحياً طويلاً برقبة.

(دوللى تنظر إلى حذائها في غضب بينما يلحظها فالنتين وهي تفعل ذلك فيضيف قائلاً)

.. كلا ليس هذا هو النوع من الأحذية الذي أقصده.

(تحاول دوللى أن تخفي حذاءها)

إننا هنا في انجلترا لا نهتم كثيراً بالزياء والتقاليد حيث أننا كأمة لا ترتدي ملابس أنيقة ولا نملك تقاليد معينة.

ولكن أرجو أن تعذراني في صراحتي.

(دوللي وفيليب يحركان رأسيهما):

إني أشكركما.. ففي المكان الذي يقصده الناس في طلب الصحة في انجلترا شرط واحد يجب أن يتداركه كل من يسعى إليه وهو أن يكون في رفقته أب أومن يحل محله: وهل لي أن أقول أني استنتجت من حديثكما أنكما استغنيتما تماماً عن هذا الشرط لمواجهة الحياة الاجتماعية.

(يخفضان رأسيهما في حزن).

ولذلك فإني آسف لأن أقول لكما لو أردتما البقاء هنا لأي مدة من الزمن فإني أعتذر لكما عن قبول دعوتكما إلى الغداء.

(ينهض فالنتين كأنما أنهى كلامه ثم يضع المقعد)

(الذي من غير مسند بجوار الأريكة).

فيليب: (ناهضاً في أدب ظاهر) تعالى يا دوللى. (يمد لها يده)

دوللى: عم صباحا.

(يسيران معاً في كبرياء نحو الباب).

فالنتين: (وقد غلبه تأنيب ضميره) قفا.. قفا..

لقد أشعر تماني أني أنقلبت إلى وحش كاسر.

دوللى: إنه ضميرك ولسناً نحن السبب في ذلك.

فالنتين: (وقد خلع عن نفسه كل مظاهر ادعاء المهنة (ضميري أن ضميري هو سبب تحطيمي.. أنصتا إلى.. فعندما كنت أزاول مهنة الطب في أنحاء مختلفة من انجلترا كنت استخدم ضميري وأخبرت مرضاى أن يسمعوه وكانت النتيجة هي تحطيمي.. والآن وقد أصبحت طبيب أسنانًن طبيب أسنانًن بخمسة شلنات.. استخدمت الضمير في كل شيء. مع أن هذه الفرصة هي فرصتي الأخيرة..

فعقدت الجنيه الأخير أثناء انقالي إلى هنا ولم أدفع بعد شلناً من أجر هذه الشقة.. وإني آكل الآن وأشرب "بالشكك" على الحساب.. وصاحب المنزل رجل غني كاليهود صعب كالمسامير.. ولم أستطع أن أكسب أكثر من خمسة شلنات في ستة أسابيع لأني لم أجد قيد شعرة عن طريق الاحترام الوعر المستقيم الذي هيئت لسلوكه.

فهل من العدل في مثل هذه الظروف أن أتناول الغداء معكما في الوقت الذي لا أعرف فيه والدكما..؟

دوللى: لنعلم بعد ذلك كله أن جدنا كان عالماً بالقوانين الكنسية في كاتدرائية لينكوان.

فالنتين: (مثل بحار تائه وجد شراعا في الأفق).. ماذا؟

هل لكما جد؟

دوللى: نعم واحد فقط.

فالنتين: ايه يا أصدقائي الأعزاء الصغار.. لماذا لم تخبروني بذلك من قبل؟ كان عالماً بالقوانين الكنسية في كاتدرائية لنكولن.. أن هذا يجعل الموضوع سليماً من غير شك.

أرجو أن تأذنا لي بالانصراف حتى أغير سترتي..

(يصل فالنتين إلى الباب في قفزة ثم يختفي).

(دوللي وفيليب يحملقان فيه ثم يحملق كل منهما في الآخر)

(دون أن يعبآ بما حولهما، ثم يغيران أسلوبهما في الحال..)

فيليب: (وهو يطوح بيد دوللى ثم يتجه صوت كرسي العمليات في حركة ساخرة).

هذا الرجل النتاش المفلس يريد أن يكثر من تحيتنا حتى ندعوه لتناول الغداء معنا..

ومن المحتمل أن تكون الأكلة الأولى التي تناولها في الميدان منذ شهور..

(يضرب فيليب كرسي العمليات بقدمه كأنما هو

فالنتين..)

دوللى: انها وحشية.. أنني لا أستطيع أن أتحمل أكثر من ذلك فهل هنا في انجلترا يسأل كل فرد الآخر هل لك أب أو لا قبل كل شيء؟.

فيليب: أنا لا أستطيع أن أتحمل كذلك بدوري، يجب أن تخبرنا والدتنا عمن كان والدنا.

دوللى: أو عمن يكون والدنا. فربما يكون على قيد الحياة الآن.

فيليب: إنني لا آمل في ذلك فليس هنا رجل يرضى أن يكون أبا لي.

دوللى: ومع ذلك فربما يكون والدنا ثرياً يملك قدراً كبيراً من المال.

فيليب: انني أشك في ذلك فإن معلوماتي عن الطبيعة البشرية تقودني إلى الاعتقاد بأنه لو كان يملك قدراً كبيراً من المال لما تخلص من أسرته العزيزة في مثل هذه السهولة وعلى كل حال دعينا ننظر إلى الجانب المشرق من الأشياء واعتمدي على كلامي، اعتقدي أنه انتقل إلى رحمة الله.

الوصيفة: سيدتان جاءتا من أجلك يا آنسة..

وأظن أنهما والدتك وشقيقتك..

(تدخل مدام كلاندون وجلوريا وتعتبر مسز كلاندون من

حماة حركة حقوق المرأة التي اتخذت من مؤلف جون ستيوارت مل عن "خضوع المرأة" دستوراً لها. وهي لم تظهر في وقت ما في منظر المرأة القبيحة أو التي تدعو إلى السخرية والاستهزاء فتلبس صديري أشبه بصديري الرجال، أو ياقة كياقتهم، أو سلسلة للساعة كسلاسلهم كما كان يفعل بعض زميلاتها اللاتي تجافين الذوق).

وهي تحرص كل الحرص على ألا تبدو من أنصار هذا المذهب ولذلك فهي تلبس ملابس عمية دون أن تجعل من نفسها أضحوكة أمام الناس، وتحاول جاهدة أن تثير لجاذبية الجنس فتقدر الرجال المتألقين والنساء المسايرات لأساليب المودة. وهي تنتمي إلى صدر الفترة بين عامي ١٨٦٠- ١٨٨٠ على وجه التقريب صورة في غيورة مؤكدة في اخلاقها وعقليتها وفي كونها امرأة ترنو إلى فائدتها المرجوة أكثر مما ترنو إلى العواطف الشخصية العميقة وهي تنصرف بكليتها إلى مظاهر الغرام الوقتية التي يظهرها نحوها أبناؤها غير أن مشاعرها النفسية تسلمها إلى الارتباك في قرارة نفسها، والعاطفة عندها تتمثل في حب الخير أكثر مما تتمثل في حب إنسان وهي تهتم اهتماماً شديداً بالأسئلة الاجتماعية والمبادئ ولا تهتم بالأشخاص. ويستطيع إنسان فقط أن يدرك أن هذا الاتجاه العقلي وهذه الحرية المنزلية التامة التي

جعلت العلاقة بين الأم وأبنائها كالعلاقة بينها وبين أبناء امرأة أخرى صيرت العلاقة بين الأم ودوللى منهارة.

ولذلك فإن كل كلمة توجهها إليها تحمل طابع الاحتجاج أو الخروج عن اللياقة والذوق غير أن الرقة لا تفارق صورها، وليس من القريب أن هذه السنوات قد تركت دوللي محطمة تعيش بلا أمل.

وجلوريا التي لا تتعدى العشرين من عمرها تبدو أكثر روعة من أمها فهي صورة مجسمة للاعتداد بالنفس وسعة العقل، وتثور هذه الصفات في نفسها مع القلق الذي تسببه شدة عزيمتها، ثم تتوارى هذه الصفات مع عدم تجاربها في الحياة بسبب شبابها. ولذلك فإنها تعودت على غير رضا منها على خطر السخرية الدائم ممن يصغرونها في العمر والمكانة. وهي على النقيض من أمها شعلة من العواطف، وينتج عن الصراع الذي ينشب بين عواطفها واعتدادها بنفسها وشدة تأنقها برود تام في مسلكها وقد تكون هذه الصفات في امرأة أخرى قبيحة المنظر مستهجنة ولكنها عند جلوريا رائعة جذابة.

وهي فتاة- كما يصح أن يطلق عليها- خطرة لو أننا تجاهلنا مشاعرها الطيبة التي تجثم في نبل على جبينها الأبلج. وتبدو "الجونلة" التي ترتديها من صنع الخياط

و"الجاكت" التي تضعها فوقها من قماش بني في لون الزعفران ذات طابعٍ تقليدي.

ولكنها عندما تدور نراها تلبس "بلوزة" من الحرير الأخضر في لون البحر تشع فيها روح التمسك بالتقاليد تفصلها كما تفصل شقيقها التوأمين فصلًا فعالًا عن مجري الحياة الحديثة، على شاطئ البحر:

وتدخل مسز كلاندون في الحجرة وهي تنظر حولها لترى من فيها، وتحاول جلوريا أن تتجنب– بعد تفكير– تشجيع التوأمين على الثرثرة، وذلك بألا تبوح بأي سرٍّ إليهما، وتتجول في الغرفة حتى تصل إلى النافذة وتطل منها، وأفكارها تزحف بعيدًا، وتظهر الوصيفة وبدلًا من أن تنسحب تغلق الباب وتقف منتظرةً على الباب).

مستر كلاندون: حسنًا يا أولادي.. كيف حال سنتك المسوسة يا "دوللي؟

دوللي: شفيت ولله الحمد.. لقد خلعتها.

(تجلس على قدم كرسي العمليات)

(مسز كلاندون تتناول الكرسي الذي يوجد)

(أمام منضدة الكتابة)

فيليب: (وهو يتكلم من ناحية المدفئة) وطبيب الأسنان طبيب

مـن الطـراز الأول وقـد قبـل الحضـور معنـا.. وتنـاول الغداء.

مسز كلاندون: (وهي تنظر حولها نحو الوصيفة وقد أدركت كل شيء) فيل.

الوصيفة: إني متأسـفة يا سـيدتي.. إني منتظـرة دكتـور فـالنتين لأني أحمل رسالةً إليه.

دوللي: من أين..؟

مسز كلاندون: (في دهشة) دوللي..

الوصيفة: من صاحب البيت فقط يا سيدي.

(يدخل فالنتين في حلة من القماش الصوفي)

(الخشن ذات لون أزرق وهو يحمل في يده)

(قبعة من القش ويبدو أنه مبتهج، ثم يلتقط)

(أنفاسه من السرعة. وتعود جلوريا من ناحية)

(النافذة، ثم ترمقه باهتمامٍ بالغ)

فيليب: دعوني أعرف بعضكم ببعض.. دكتور فالنتين. والدتي مسز لانفري كلاندون.

(مسز كلاندون تنحني، فالنتين ينحني في وقار)

(بالقدر الذي تنحني له مسز كلاندون)

شقيقتي جلوريا

(جلوريا تنحني في اعتزازٍ بالنفس وبرود ثم تجلس على الأريكة)

(فالنتين يقع في حبها لأول نظرة، يمسك قبعته في حركة)

(عصبية وينحني لها في خضوعٍ ظاهر)

مسز كلاندون: لقد فهمت أننا نلنا الشرف بقبول الدعوة لتناول الغداء معنا يا دكتور فالنتين.

فانتين: أشكرك يا سيدتي. إذا لم يضايقكم هذا.. أتمنى لو تفضلتم بذلك.

(مخاطبة الوصيفة في حدة) ماذا تريدين؟

صاحب البيت يا سيدي يريد أن يتحدث إليك قبل أن تخرج.

فالنتين: أوه.. قولي له أن أمامي أربعة مرضى هنا،

(تنظر أسرة كلاندون في دهشة إلا فيليب)

(الذي يبدو هادئًا)

فليتفضل بالانتظار دقيقتين.. وسوف أنزل لأتحدث إليه لحظة.

(يفشي إليها السر معتمدًا على إدراكها للموقف).

قولي له أني مشغول ولكني أريد أن أراه.

الوصيفة: (في اطمئنان) سمعًا وطاعةً يا سيدي.

(تذهب)

مسز كلاندون: (وهي تنهض واقفة) إنني خائفةً أن نكون عائقًا في سبيلك.

فالنتين: كلا يا سيدتي.. كلا يا سيدتي.. فإن حضورك الآن يساعدني كثيرًا. فالحقيقة أني مدين له بأجر ستة أسابيع وليس عندي مرضى حتى اليوم، وسيخفف من حدة الموقف تظاهري بالانكباب على العمل.

دوللي: (في ضيق) كم أنت متعب إذ تقول ذلك كله. ومنذ لحظة كنا نقول عنك أنك طبيب محترم من الطراز الأول.

مسز كلاندون: (في رعب) أوه... دوللي.. دوللي.. يا عزيزتي كيف تكونين وقحة إلى هذا الحد؟

(مخاطبة فالنتين)

هل لك أن تقبل عذر أبنائي البرابرة يا دكتور فالنتين؟

فالنتين: لا داعي للاعتذار.. لقد اعتدت عليهما، هل لكم أن تنتظروني خمس دقائق حتى أتخلص من صاحب البيت في

أسفل السلم؟

دوللي: لا تغب كثيرًا.. فإننا جائعون..

مسز كلاندون: (مخاطبة إياها مرةً ثانية في احتجاج) عزيزتي دوللي.

فالنتين: (مخاطبًا دوللي) بكل سرور، أشكركم. لن أغيب طويلًا....

(يختلس نظرةً إلى جلوريا وهو يجري نحو الخارج)

(وهي تنظر إليه في حدة فيعتريه الارتباك..)

أنا.. أنا أشكركم.

(ينجح فالنتين في الخروج من الغرفة ولكن المنظر).

(في الواقع يدعو إلى الشفقة)

فيليب: (مخاطبًا جلوريا) هلي لاحظت يا جلوريا: إنه الحب من أول نظرة خروف آخر انضم إلى المجموعة.. إنه رقم (١٥).

مسز كلاندون: اسكت. اسكت.. أرجوك يا فيل فربما سمعك.

فيليب: إنه لم يسمع (محاولًا أن يتركز المنظر عليه)

والآن انظري إلى يا والدتي..

(يتناول المقعد الذي بدون مسند من جوار الأريكة)

(ويجلس عليه في عظمة في وسط الغرفة مقلدًا)

(فالنتين وتلحظ دوللي أن بقاءها على قدم كرسي)

(العمليات لا يليق بكرامتها فتقف لتثير حولها)

(الأهمية ولا تحط من مكانتها فتتقدم نحو النافذة)

(وتقف وظهرها متجهًا نحو حافة منضدة الكتابة)

(ويداها خلفها فوق المنضدة ومسز كلاندون)

(تنظر إليها متعجبةً مما يجري، بينما تكون)

(جلوريا مصغية، ويعدل فيليب ظهره، ويمسك)

(بقبضة يديه ركبتيه ويبدأ في سرد قضيته..)

لقد كنت أنا ودوللي نتحدث طويلًا عن بعض الأشياء ولا أظن استنادًا إلى معلوماتي عن الطبيعة الإنسانية أني أستطيع أن أحكم فيها.

ولا أظن أنك.. تمامًا تقدرين.. والحقيقة أن....

(يتكلم بوضوح في كلماتٍ متقطعة)

دوللي: (وهي تقفز لتجلس على حافة المنضدة)

الحقيقة أننا كبرنا

مسز كلاندون: من غير شك.. ولكن من أي طريقٍ سببت

لكما الشكوى؟..

فيليب: حسنًا.. هناك أشياء معينة بدأنا نشعر أنك ينبغي أن تثقي فينا بشأنها.

مسز كلاندون: (وهي تنهض فجأةً في هدوءٍ يناسب سنها ثم)

(تتقدم في اضطرابٍ غريبٍ وتقف في عنادٍ تدافع) (عن رأيها)

فيل.. تنبه إلى ما لقنتك إياه دائمًا. إن هناك نوعين من أنواع الحياة العائلية، وإن طبيعتك الإنسانية تقودك دائما إلى واحدٍ منهما.

(في بلاغة) إن النوع الذي تعرفه قائم على الاحترام المتبادل وعلى اعتراف كل فردٍ بحقوق الآخر من أعضاء الأسرة في الاستقلال والحرية البيئية في شئونه الخاصة.

(تضغط في كلامها على عبارة الحرية البيتية) ولأنك أنت تمتعت بذلك دائمًا فإنك لا تعيرها أية قيمة.. ولكن (في خشونة) هناك لون آخر من ألوان الحياة العائلية، وفيها يفتح الأزواج خطابات زوجاتهم، ويحاسب زوجاتهم على أي مالٍ ينفقونه وأي دقيقةٍ يقضونها. ويفعل فيها الأمهات ذلك مع أبنائهم حيث لا توجد حجرة خاصة لأي فردٍ من الأفراد، وتكون أي ساعةٍ مقدسة ويكون فيها الواجب والطاعة والعاطفة والمنزل والأخلاق

والدين سببًا من أسباب الاستبداد الكريه والحياة عبارة عن حلقةٍ وضيعةٍ من العقوبات. والأكاذيب والاغتصاب والثورة.. والشك والإجرام.

كـلا.. إني لا أسـتطيع أن أصـفها لـك لأنـك لحسـن الحظ لا تعلم عنها دوللي.

دوللي: (وهي لا تطيق هذه البلاغة) انظر إلى كتاب آباء القرن العشرين الفصل الخاص عن الحرية.. إن الحديث عنها هنا وهناك.

مسز كلاندون: (وهي تمسك كتفها في عطفٍ وتهدئها فتقابلها بسخرية منها)

يا عزيـزتي دوللـي.. آه لـو عرفـت أن مـا اعتبرتـه هـزلًا بالنسـبة إليـك هـو جـد مريـر بالنسـبة إلى (تخاطـب فيليـب في عـزم): إني لم أسـألك يا فيـل مطلقًـا بعـض الأسئلة عن شئونك الخاصة ولذا يجب ألا تتدخل أنت في شئوني الخاصة.

فيليب: أظن أنه من الحق أن نقول: أن الأسئلة التي نحب أن نوجهها إليك تخصنا كما تخصك.

دوللي: وبالإضـافة إلى ذلـك لـيس مـن المستحسـن أن تكـتم بعض الأسئلة في نفسك.

(ماما) استجيبي له وانظري كيف تتردد الأسئلة بين أطواء نفسه بشكل مخيف.

مسز كلاندون: أنا أعلم أنكما تريدان توجيه بعض الأسئلة إليّ.

تكلما.

دوللي: من منا؟

فيليب: من منا؟

(يبدآن في الحديث متشجعين)

فيليب: الآن انظري هنا يا دوللي من منا سوف يقوم بهذه المهمة؟

أنا أم أنت؟

دوللي: أنت.

فيليب: اغلقي إذن فمك.

(تغلق دوللي فمها)

إن السؤال بسيط.. فعندما سألنا رجل العاج النتاش...

مسز كلاندون: فيل..

فيليب: إن عبارة طبيب الأسنان عبارة رديئة والأفضل أن نلقبه برجل العاج والذهب أقول عندما سألنا رجل العاج والذهب عما إذا كنا نحن أبناء مستر ونسمور كلاندون

من نيوبري هول فإننا حرصًا على وصيتك في كتابك (سلوك القرن العشرين) واستجابةً لنصحك المتكرر لاختصار عدد الأكاذيب غير الضرورية التي نتفوه بها أجبنا في صدق أننا لا نعرف ذلك..

دوللي: ولا نحن نعلم..

فيليب: اش.. والنتيجة أن الطبيب المهندس الذي يبني عماراته بالصمغ قد خلق صعوبات عديدة في سبيل قبول دعوتنا له لتناول الغداء، وأنا أشك أنه تناول دوللي غير الشاي والخبز والزبدة منذ أسبوعين، والآن.. فإني معلوماتي عن الطبيعة الإنسانية تقودني إلى الاعتقاد أن لنا أبًا، وأنه من المحتمل أنك تعرفين من هو؟

مسز كلاندون: (تثور مرةً ثانية) اسكت يا فيل.. إن والدك لا شيء بالنسبة إليك وبالنسبة إلى كذلك.

(في عنف) وهذا يكفي.. (يخيم السكون على التوأمين غير راضيين، ويخفضان رأسيهما، ولكن جلوريا التي كانت تتابع الشتائم تتدخل فجأة)

جلوريا: (وهي تتقدم) ماما.. ماما.. نحن لنا الحق في أن نعرف.

مسز كلاندون: (وهي تنهض لتقابلها وجهًا لوجه) جلوريا؟ نحن؟

ماذا تقصدين بكلمة نحن؟

جلوريا: (في ثبات) نحن الثلاثة.

(لهجتها واضحة لا تخطيء وهي تتحدى بقوتها أمها)

(في الحديث لأول مرة ويتحرك التوأمان فجأة نحو أمهما)

مسز كلاندون: (وهي جريحة) في فمك كانت كلمة نحن تفيد أنت وأنا قبل ذلك.

فيليب: (ناهضًا من مكانه وواضعًا المقعد بدون مسند في مكانه)

إننا نحن نؤلمك يا أماه.. دعينا نسحب ذلك السؤال..

لم أكن أظن أنك سوف تهتمين به هذا الاهتمام.. إني لا أريد أن أعرف دوللي.

دوللي: (وهي تنزل من فوق المنضدة) وأنا واثقة أني لا أريد أن أعرف دوللي كذلك.

(تنظر بغضب إلى جلوريا وتذهب لتطوق أمها)

(بذراعيها..)

مسز كلاندون: أشكرك يا عزيزتي.. أشكرك يا فيل.

(تتخلص من أيدي دوللي في رقة ثم تجلس مرةً ثانية).

جلوريا: (في عناد..) إننا لنا الحق يا أماه في المعرفة.

مسز كلاندون: (في اعتزاز) آه إنك تصرين على ذلك.

جلوريا: هل تقصدين أننا لن نعرف أبدًا.

دوللي: أوه جلوريا.. هذه بربرية.

جلوريا: (في احتقارٍ هادئ) ما الفائدة من الضعف؟ أنت قد رأيت ماذا حدث من هذا الجنتلمان هنا.. ومثل هذا والشيء نفسه قد حدث لي..

مسز كلاندون: ماذا تقصدين بذلك؟

دوللي: أوه.. أخبرينا

(كل في صوت واحد)

فيليب: ماذا حدث لك

فيليب: كان دوللي بدون نتيجة.

(تبتعد عن أخويها، وتتقدم إلى الكرسي الموجود بجوار)

(المدفأة وتجلس عليه وظهرها متجه نحوهم وبينما هم)

(ينتظرون حديثها تتكلم من وراء كتفها في عدم اهتمام)

(ظاهر...)

بينما كنت على ظهر الباخرة.. كان الضابط الأول له الشرف في التقدم لطلب يدي.

دوللي: لا.. لقد تقدم لي أنا شخصيًّا.

مسز كلاندون: الضابط الأول؟ هل أنت جادة فيما تقولين يا جلوريا.. ماذا قالت له؟

(تصحح وضعها) اعذريني فليس لي الحق في أن أسألك هذا السؤال.

جلوريا: إن الإجابة على هذا السؤال واضحة لطيفة. فإن المرأة التي لا تعرف من أبوها لا تستطيع أن تقبل عرضًا كهذا؟

مسز كلاندون: من غير شك أنت كنت لا تريدين أن تقبليه.

جلوريا: وقد استدارت قليلًا وأخذت ترفع صوتها).. لا، افرضي أني كنت أرغب في قبوله..

فيليب: هل هذه العقبة تزعجك يا دوللي؟..

دوللي: كلا فقد قبلته..

في صوت واحد

جلوريا: قبلته..

مسز كلاندون: إني أقول هس.

دوللي: (في سذاجة) لقد كان يبدو كأبله..

مسز كلاندون: ولكن لماذا فعلت دوللي هكذا يا دوللي؟

دوللي: مـن أجـل المـزاح.. وكـان مـن الواجـب أن يقـيس أصبعي ليعرف مقياس الخاتم الذي سيضعه في يدي.. وأنت نفسك قد رفضته.

مسز كلاندون: كلا يا دوللي.. إني لم أفعل ذلك، ولكن حقيقة الأمر أن الضابط الأول تقدم لي لطلب يدي فأخبرته أن يترك هذا الأمر للنساء اللاتي هن أصغر مني سنًّا ويستطيع أن يستمتع معهن ويخيل إلى أنه عمل وفق نصيحتي.

(تنهض وتتجه صوب المدفأة)

جلوريا.. إنني آسفة لأنك تظنيني ضعيفة ولكني لا أستطيع أن أخبركما بما تريدان.... فإنكم جميعًا.. لا تزالون صغارًا.

فيليب: إن هذا انحراف واضح عن مبادئ القرن العشرين.

دوللي: (وهي تقتبس فقرةً من فقرات الكتاب).. أجيبي عن جميع أسئلة أبنائك.. وأجيبي في صدقٍ بمجرد أن يكبروا ويوجهوا إليك الأسئلة".

(انظري كتاب "أمومة القرن العشرين")

فيليب: الصفحة الأولي:

دوللي: الفصل الأول:

فيليب: الجملة الأولي:

مسز كلاندون: إني لست أعني أنكم صغار عن المعرفة ولكني أعني أنكم صغار عن الوثوق بكم.. إنكم جميعًا أطفال لامعون، ولكنكم لا تزالون غير محنكين، ولذلك تبدون قساة أحيانًا.

إن تجاربي الشخصية تحتم على ألا أخوض في الحديث إلا مع من خاض في مثل تجاربي.. وأعتقد أنكم غير مهيئين لمثل هذه الثقة.

فيليب: هذه إهانة أخرى يا دوللي.

دوللي: إننا غير رحماء (قساة)

جلوريا: (مستندة على المقعد وهي تنظر في حدة إلى أمها)

والدتي إني لا أقصد أن أكون غير رحيمة

مسز كلاندون: من غير شك لا. أنا أفهم ذلك.

جلوريا: (وهي تنهض) ولكن ماما؟

مسز كلاندون: (وهي ترجع قليلًا إلى الوراء) نعم..

جلوريا: (في عناد) إن من الهراء أن تقولي إن والدنا لا شيء بالنسبة إلينا.

مسز كلاندون: (تغتاظ فجأة فتقول في تصميم) هل تذكرين والدك؟

جلوريا: (متأملة كأنما أعادت لها ذكريات لطيفة)

أظن.. إني غير متأكدة من ذلك تمامًا..

مسز كلاندون: (متجهمة) أنت غير متأكدة؟..

جلوريا: لا

مسز كلاندون: (في هدوءٍ وقوة)

لو كنت أحضرت سوطًا من السياط وأخذت أشبعكم به ضربًا دائمًا عن عمدٍ وقصد.

(جلوريا تتراجع وفيليب ودوللي تعتريهما الدهشة)

(والثلاثة يحملقون إليها وهي تتكلم بدون رحمة)

حتى أصيبكم بالأذى.. فهل تظنون أنكم تذكرون ذلك؟

(جلوريا تصيح صيحة استنكار مدافعةً عن كرامتها)

جلوريا: لا..لا

مسز كلاندون: إن هذا بالنسبة لي هو ذكرى والدكم يا جلوريا.. لقد طردته من أفق حياتي.. فدعوه بعيدًا عني بعدم ذكر سيرته أمامي مرةً ثانية.

(جلوريا ترتعش ثم تغطي وجهها بيديها ثم تسمع)

(صوت طرقٍ على الباب فتستعيد قواها وتجلس مسز كلاندون (علي الأريكة ويعود مستر فالنتين..)

فالنتين: أرجو ألا أكون تركتكم منتظرين طويلًا...

فصاحب البيت رجل عجوز.. غريب الشخصية..

دوللي: (في شغف) خبرناكم من النقود طالبك بها؟

مسز كلاندون: (وهي دهشة من سلوك ابنتها) دوللي.. دوللي.. يجب ألا توجهي إليه سؤالًا.

دوللي: (متظاهرة بالرزانة) آسفةً جدًّا.. إنك سوف تخبرنا يا مستر فالنتين أليس كذلك؟

فالنتين: إنه لا يطلب الإيجار على الإطلاق.. بل إنه كسر إحدى أسنانه وهو يأكل بندقة برازيلية.. وقد دعاني أن أفحصها ثم أتناول الغداء معه بعد ذلك.

دوللي: دعه.. يصعد إلى هنا.. واخلع سنته في الحال وسوف ندعوه لتناول الغداء معنا كذلك، قل للوصيفة أن تناديه.

(تذهب إلى الجرس لتضغط عليه في قوة ثم تعود)

(مرةً ثانيةً إلى فالنتين وتستطرد قائلةً)

إنني أظن أنه محترم... محترم جدًّا أليس كذلك؟

جلوريا: هل هو رجل طيب؟

(مسز كلاندون تلهث في خفوتٍ ولكن قوى الاحتجاج

ثائرةً فيها).

دوللي: أجل رجل طيب.

دوللي: إذن فاذهب إليه ودعه يحضر معك.

فالنتين: (وهو ينظر في غموضٍ إلى مسز كلاندون)

إنني أستطيع أن أقول أنه يكون مسرورًا لو..

مسز كلاندون: (وهي تنهض ناظرةً إلى ساعتها).

إنني أكون سعيدة لو أغريت صديقك بالحضور لتناول الغداء، ولكني لا أستطيع الانتظار حتى أراه الآن. فلدى موعد في الفندق في الساعة الواحدة إلا ربعًا مع صديقٍ قديم منذ أن تركت إنجلترا من حوالي ثمانية عشر عامًا.. فهل تقبلون عذري..

فالنتين: بكل سرورٍ يا مسز كلاندون.

جلوريا: هل أحضر معك؟

مسز كلاندون: كلا يا عزيزتي.. فإني أريد أن أكون وحيدة..

(تخرج مسز كلاندون ولا تزال عليها آثار الاضطراب)

(واضحة وفالنتين يفتح لها الباب ثم يتبعها....)

فيليب: (وهو يشير إلى دوللي) هم هم

دوللي: الله..

(لتظهر الوصيفة لتجيب على دقات الجرس)

دوللي: دعي الجنتلمان العجوز يصعد إلى هنا.

الوصيفة: (حائرة) مدامٍ؟

دوللي: الجنتلمان العجوز الذي يشكو ألمًا في أسنانه.

فيليب: صاحب البيت..

الوصيفة: مستر كرامبتون

فيليب: هل اسمه هو مستر كرامبتون؟

دوللي: دعي مستر كرامبتون يصعد..

الوصيفة: مستر كرامبتون يا آنسة.

(وهي تخرج)

دوللي: (وهي تكرر الاسم كأنها تحفظه)

كرامبتون.. كرامبتون.. كرامبتون

(تجلس إلى منضدة الكتابة)

جلوريا: هل تعتقد في مثل هذا الشيء الذي صرحت به والدتنا منذ لحظةٍ عن والدنا؟

فيليب: هناك عدد كبير من الرجال من هذا النوع. فإن شامبكو.. العجوز كان يضرب زوجه وبناته بسوطٍ من

سياط العربات.

دوللي: (في احتقار) نعم إنه كان برتغاليًا..

فيليب: عندما تتكلم عن الرجال المتوحشين فلا فرق في ذلك بين البرتغاليين، والبريطانيين.. ثقي في معلوماتي عن الطبقة البشرية يا دوللي..

(يعود إلى مكانه فوق البساط الموضوع عند المدفأة)

(ويتكلم في لهجة المسئول الأكبر).

جلوريا: (وضميرها ثائر) أظن أننا لا يصح لنا بعد الآن أن نلعب اللعبة القديمة في التخمين عن والدنا.. وعن وعمن كان يشبهه، هل أنت آسفة يا دوللي من أجل والدك.. الوالد الذي يملك قدرًا كبيرًا من المال؟..

دوللي: ماذا عن والدك.. الرجل الوحيد العجوز الذي يملك قلبًا رقيقًا محطمًا إنني أظن أنه مفلس إلى حدٍّ بعيد..

فيليب: ليس من شكٍّ إذن في أن الثراء خرافة باطلة..

(فالنتين يسمع وهو يتكلم خارج الباب مع أحد)

(الأشخاص)

أنصتوا.. أنصتوا.. إنه حضر.

جلوريا: (في عصبية) من حضر؟

دوللي: الرجل ذو الأسنان الطباشيرية..

فيليب: أنصتوا.

(فيليب يتكلم بصوت منخفض إلى جلوريا)

لو كان رجلًا طيبًا يستحق الغداء.. فإني سوف أخفض رأسي لدوللي فإذا خفضت رأسها لك فادعيه أنت لتناول الغداء..

(يدخل فالنتين مع صاحب البيت مستر فرجوس كرامبتون)

(وهو رجل في الستين من عمره ذو كلماتٍ حادة عنيدة)

(وفم مغلق وصوت متغطرس وهو يرتدي ملابس أنيقة)

(ويخيل للرائي أنه صاحب صناعة رائجة وينتمي إلى أسرة)

(عريقة في التجارة وتدل سترته البحرية الزرقاء علي)

(أنها ليست من طراز حديث وهي ليست في الواقع)

(حلة بحار ولكن لها مثل شكلها، وهي ذات صدر)

(مركب وأزار كبيرة وقلابات عريضة وهي تناسب)

(رجلًا يعمل في أحواض السفن أكثر مما تناسب رجلًا)

(يملك بيتًا يحاسب نزلاءه. وقد استلطف فرجوس)

(كرامبتون مستر فالنتين الذي لم يعبأ بالاختلاط العجيب)

(في ملبسه وأخذ يعامله في عدم احترام ولكن الرجل)

(كان شاكرًا له الفضل من أعماقه).

فالنتين: هل لي أن أقدم بعضكم للآخر.. هذا هو مستر كرامبتون.. وهذه هي مس دوروثي كلاندون.

(كرامبتون ينحني في عصبية بينما ينحني الجميع له).

تفضل بالجلوس يا مستر كرامبتون.

دوللي: (مشيرةً إلى كرسي العمليات) هذا هو أريح مقعد يا مستركرا.... كرامبتون..

كرامبتون: أشكرك... فلتتفضل الآنسة بالجلوس..

(مشيرةً إلى جلوريا التي تقف بجوار الكرسي)

جلوريا: أشكرك يا مستر كرامبتون.. فإننا سوف نرحل.

فالنتين: (وهو يجلسه على المقعد في حركةٍ ساخرة) اجلس.. اجلس يا سيدي إنك متعب.

كرامبتون: لعل ذلك لأني أكبر الحاضرين سنًّا..

(عندما ينتهي من جملته يجلس على كرسي العمليات)

(كمريضٍ بالروماتزم في حين يكون فيليب ودوللي قد)

(درساه تمامًا أثناء مروره في الحجرة، فيطأطئ رأسه)

(لدوللي ودوللي تطأطئ رأسها لجلوريا)

جلوريا: يا مستر كرامبتون.. لقد فهمنا أنك ستمنع دكتور فالنتين من تناول الغداء معك لأننا دعوناه إلى ذلك من قبل.. وإني ووالدتي نكون سعداء لو تفضلت بقبول الدعوة للحضور معنا كذلك.

كرامبتون: (في شكرٍ وفي جدٍّ بعد أن نظر إليها لحظةً من الزمن)

أشكرك... فإني سأحضر بكل سرور.

جلوريا: أشكرك كثيرًا..

دوللي: إننا سعداء (يتمتمون جميعًا في صوتٍ منخفض)

فيليب: إننا منشرحون

(وتتوقف المحادثة وتنظر جلوريا إلى دوللي ثم إلى فالنتين)

(وفيليب، ويشعر دوللي وفالنتين أنهما لا يقفان في صف)

(واحد مع هؤلاء الكبار فينظر كلٌّ منهما إلى الآخر)

(ثم ينظران صوب جلوريا، ويبدون جميعًا في حيرة).

(ويحملق كرامبتون إليهم وينتظر أن يبدأ أحدهم)

(بالحديث.. ولكن الصمت يخيم عليهم جميعًا..)

دوللي: تتكلم (فجأة حتى تحيط الجو بنفس الشعور) كم عمرك يا مستر كرامبتون؟

جلوريا: (في سرعة) إنني خائفة أن نتأخر.. يجب أن نرحل الآن يا دكتور فالنتين، ومن المتفق عليه أننا سوف نلتقي في الساعة الواحدة والنصف.

(تذهب جلوريا صوب الباب ويذهب فيليب معها)

(ويعود فالنتين عند الجرس..)

فالنتين: الساعة الواحدة والنصف (يدق الجرس).

أشكركم (يتبع جلوريا وفيليب إلى الباب ثم يذهب معهم)

دوللي: (التي انسلت نحو كرامبتون) دعه يحضر لك المخدر.. إنه يتقاضى خمسة شلنات أكثر من الكشف العادي إلا أن العملية تستحق ذلك.

كرامتبون: (وقد طرب من حديثها) حسنًا (وهو ينظر إليها بجد).

والآن أنت تريدين أن تعرفي عمري.. إني في السابعة والخمسين..

دوللي: (مقتنعة) يبدو أنك في هذه السن.

كرامبتون: (وهو متجهم الوجه) إني أقدر أن أقول كذلك.

دوللي: لماذا أنت تحملق في طويلًا؟ هل هناك شيء غلط في.

(تظن أن قبعتها غير معتدلة)

كرامتبون: أنت تشبهين شخصًا؟

دوللي: من؟

كرامتبتون: حسنًا.. إن لك نظرة غريبة كوالدتي.

دوللي: (وهي لا تصدق ما يقول) والدتك؟ هلي أنت واثق أنك لا تعني ابنتك؟

كرامبتون: (تنتابه فجأة عاطفة الكراهية) نعم.. أنا متأكد كل التأكيد بأني لا أقصد ابنتي... آه.. آه..

دوللي: (في حنان) هل سنتك تؤلمك؟

كرامبتون: كلا.. كلا.. لا شيء أنه وخز الذكريات يا مس كلاندون لا وجع الأسنان..

دوللي: انزع من ذكرياتك حزنك الدفين بالمخدر؟ خمسة شلنات أكثر من الكشف المعتاد.

كرامبتون: إنه ليس الحزن.. إنها الإهانة التي أصابتني ذات مرة.. وأني لا أنسى الإهانات.. ولا أريد أن أنساها.

(تبدو على ملامحه علائم العبوس).

دوللي: (وهي تنظر إليه في حدة) أظن أننا لن نحبك إذا ما كنت دائما تتذكر الإهانات.

فيليب: (الذي انسل إلى داخل الحجرة دون أن يلحظه أحد)

(ووقف خلف دوللي)

إن شقيقتي تعني ما تقول... يا مستر كرامبتون.. ولكنها لا تؤتمن على سر.. والآن يا دوللي.. هيا بنا إلى الخارج

(يذهب بها صوب الباب)

دوللي: (في صوتٍ مسموعٍ) إنه يقول إنه في السابعة والخمسين ويظن أني صورة من أمه وهو يكره ابنته.

(يقاطع حديثها دخول فالنتين من الخارج).

فالنتين: لقد رحلت مس كلاندون.

فيليب: لا تنسى الساعة الواحدة والنصف.

دوللي: أرجو أن تبقي لمستر كرامبتون بعض الأسنان حتى يستطيع أن يأكل..

(يذهب فالنتين إلى الدولاب ثم يفتحه)

كرامبتون: هذه طفلة فاسدة يا مستر فالنتين، هذه هي إحدى

منتجات العصر الحديث.. عندما كنت في مثل سنها كانت لي ذاكرة غضة تدفعني إلى السلوك الحسن.

فالنتين: (وهو يخرج مرآة الأسنان والمجس).

ما رأيك في شقيقتها؟

كرامبتون: هل أحببتها أكثر منها؟ أليس كذلك.. آه.

فالنتين: لقد خلبتني..

(يحرك نفسه ثم يستطرد قائلًا وقد هبط من دنيا الشعر إلى النثر).

على أية حال... فليس هذا يتعلق بعملنا..

(يحاول أن يتكلم بصوت الطبيب المحترف).

افتح فمك.... من فضلك..

(كرامبتون يفتح فمه وفالنتين يضع المرآة فيه ويفحص أسنانه).

إنك قد كسرت هذه السنة.. إنه مما يدعو إلى الشفقة أن تحطم سنة من هذه المجموعة في الأسنان.. لماذا تكسر البندق بها؟

(يسحب المرآة من فمه ثم يبدأ في الحديث معه)

كرامبتون: لقد تعودت دائمًا على تكسير البندق بهذه الأسنان.

لأي شيء آخر خلقت هذه الأسنان؟

إن أسلم طريقة للمحافظة عليها هي أن نقضم بها العظام والبندق ثم تغسلها كل يوم بالصابون... الصابون الأصفر.. الزفر... (الصافي).

فالنتين: الصابون؟ ولماذا تستعمل الصابون؟

كرامبتون: لقد بدأت استعماله عندما كنت طفلًا، ومنذ ذلك الوقت وأنا أستعمله ولم يكن عندي أي تسوسٍ في الأسنان طيلة حياتي..

فالنتين: ألا تعتبره رديئًا؟

كرامبتون: لقد وجدت أن أكثر الأشياء النافعة لي رديئة، ولكني تعلمت أن أتحمله وخلقت لاحتماله، ولا أزال أتحمله حتى الآن. وفي الحقيقة إني أحب الصابون الطيب.

فالنتين: (وهو يميل بوجهه بالرغم منه): يظهر إنك متعلم إلى حدٍّ بعيدٍ يا مستر كرامبتون..

كرامبتون: (وهو متجهم): إن الأحداث لم تفسدني.

فالنتين: (وهو يضحك على نفسه): هل أنت متأكد من ذلك؟

كرامبتون: (يضغط على الكلمات): ماذا تقصد من ذلك؟

فالنتين: إني أعترف بأن أسنانك سليمة، ولكني أرى مثل هذه الأسنان في ثغور ذوي النفوس السمحة.

(يذهب إلى الدولاب ويغير المجس بمجس آخر).

كرامبتون: إن التأثير لا يظهر على الأسنان... ولكنه يظهر على الأخلاق.

فالنتين: الأخلاق؟! سوف أرى (يستأنف عملياته)... أرجو أن تفتح فمك أوسع قليلًا.. من فضلك؟

لماذا ضغطت على أسنانك في شدة؟ أوه.. لقد حطمت السنة أكثر مما حطمت البندقة البرازيلية.. لا بد أن تخلعها.. لا يمكن إنقاذها.

(يسحب المجلس ثم يأتي بجوار كرسي العمليات حتى يستأنف الحديث): لا تخف.. لن تشعر بشيء.. سأضع لك مخدرًا.

كرامبتون: هذا هراء، لا أريد شيئًا من مخدرك أيها الرجل، اخلعها فإن الناس قد تعلموا في أيامي كيف يقاسون الآلام..

فالنتين: أوه.. لو كنت تريد الألم فلا مانع عندي من ذلك سوف أؤلمك كما تريد.. بدون زيادة في الكشف بسبب هذا العمل الذي يؤثر على شخصيتك تأثيرًا طيبًا..

كرامبتون: (وهو ينهض محملقًا إليه): أيها الشاب.. إنك مدين لي بإيجار ستة أسابيع.

فالنتين: نعم.. هذا صحيح.

كرامبتون: هل تستطيع الدفع؟

فالنتين: لا.

كرامبتون: (وهو راض عن ميزته في الصراحة): إني أعتقد ذلك.

(يجلس مرةً ثانية).

متى تظن أنك تستطيع أن تدفع لي الإيجار وأنت لا تملك أكثر من القدرة على اللهو مع زبائنك؟

فالنتين: سيدي العزيز.. إن كل مرضاي لا تقوم شخصياتهم على صابون المطبخ..

كرامبتون: (يمسك بذراعه فجأة وهو يتحرك صوب الدولاب): عليهم اللعنة.. إني أخبرك أنك لا تفهم شخصيتي.. فلو أردت الاستغناء عن أسناني فإني أدعوك أن تشدها واحدة إثر الأخرى حتى أعرفك إلى أي حدٍّ أنا صعب المراس؟ عندما أصمم على تنفيذ شيء. (يطأطئ الرأس أمام فالنتين ليؤكد له هذا القول ثم يتركه).

فالنتين: وهل تريد أن تكون أشد صلابةً.

(يتغير عدم اهتمامه وهزله).

كرامبتون: نعم.

فالنتين: (متجولًا صوب الجرس): إنك تبدو لي صعبًا جدًّا كصاحب البيت..

(يتقبل كرامبتون هذا القول بسخرية مكتئبة)

(فالنتين يدق الجرس في بهجة بينما ينتظر الإجابة).

(من كرامبتون..)

لماذا لم تتزوج أبدًا يا مستر كرامبتون؟ إن زوجة لك وأبناء لديك يستطيعون أن يستخلصوا بعض القسوة التي في قلبك.

كرامبتون: (في وحشية غير متوقعة): أي شيء هذا الذي أوحى لك به الشيطان؟

(تظهر الوصيفة عند الباب)

فالنتين: (في أدب): قليلًا من الماء الدافئ من فضلك

(الوصيفة تنسحب ويرجع فالنتين إلى الدولاب وهو)

(يتابع الحديث ويختار أحد الملاقط ويجهزها مع أحد)

(الأقداح وقطعة من المعدن)

لقد كنت تسألني عن الشيطان الذي أوحي لي بهذا السؤال.. وأنا نفسي لدي فكرة الزواج.

كرامبتون: (في سخرية وضجر): هذا شيء طبيعي.. هذا شيء طبيعي عندما يكون الشاب على وشك الخلاص من الملم الأخير عنده. ويكون أثاثه على وشك الحجز عليه من صاحب البيت في مدى أربعة وعشرين ساعة يقدم على الزواج.. لقد لاحظت ذلك من قبل.. حسنًا تزوج وكن بائسًا.

فالنتين: إذن تعال وحدثني عما تعرفه عن الزواج.

كرامبتون: إني لست أعزبًا..

فالنتين: إذن فهناك مسز كرامبتون.

كرامبتون: (في غيظ):

نعم.. عليها اللعنة..

فالنتين: (في عنف): وهل أنت والد كذلك كما أنت زوج يا مستر كرامبتون؟

كرامبتون: نعم.. ولي ثلاثة أبناء..

فالنتين: (في أدب): هل عليهم اللعنة كذلك؟

كرامبتون: (في غيرة): كلا يا سيدي.. إن الأبناء أبنائي كما هم

أبناؤها.

(تحضر الوصيفة إناءً مملوءًا بالماء الساخن).

فالنتين: أشكرك..

(تقدم له الإناء ثم يذهب فيحمله إلى الدولاب ويستأنف عمله في خمول).

في الواقع أني أريد أن أعرف أسرتك يا مستر كرامبتون..

كرامبتون: آسف يا سيدي فإني لا أستطيع أن أقدمها لك إني سعيد لكي أقول إني لا أعرف أين هي الآن.. ولا أهتم بها ما دامت بعيدة عن طريقي.

(فالنتين أثناء حركة من حاجبيه وأكتافه يسقط الملقط).

(في صلصلة في الماء الساخن).

لا داعي لتسخين الأدوات التي تستخدمها من أجلي.. إني لا أخاف المشرط البارد.

(فالنتين يمسك مضخة الغاز للتخدير وأسطوانة الغاز بجواره)

ما هذا الشيء الثقيل؟

فالنتين: لا تهتم إنه شيء لأضع قدمي فوقه حتى أستطيع أن أخلع السنة في سهولة.

(ينظر كرامبتون وهو خائف رغم تظاهره بالهدوء بينما يقف فالنتين وهو ممسك الكوب والملقط في يده ويتكلم مثيرًا عدم الاهتمام).

وهل أنت لا تنصحني بالزواج يا مستر كرامبتون.

(يضع قدمه على رافعة المقعد التي تحركه إلى أعلي وأسفل).

كرامبتون: إني أنصحك أن تخلع سني.. وتكف عن تذكيري بزوجتي.. هيا.. هيا..

(يمسك ذراعي الكرسي ثم يربط نفسه به).

فالنتين: هل تراهني على أني.. أستطيع أن أخلع سنتك بدون ألم ودون أن تشعر بذلك؟

كرامبتون: أراهنك بإيجار ستة الأسابيع الماضية أيها الشاب. هل تقبل الرهان؟

فالنتين: (وقد قفز من سماع هذا الرهان ثم أمسك به).

هل أنت مستعد؟ هل أنت مستعد للعمل؟

(كرامبتون يطوى بذراعيه المقعد بعدما سمع إنذار فالنتين المفاجئ فأوشك أن يفقد توازنه ثم يجلس في ثبات ويستعد للعملية متوقعًا السوء، ويحرك فالنتين ظهر الكرسي إلى زاوية منفرجة).

كرامبتون: (قابضًا على ذراعي المقعد وهو يرجع إلى الوراء).:

حاسب.. حاسب.. يا رجل.. فلا حول ولا قوة لي إلا بالله.

فالنتين: (وهو يجذب في يده آلة التخدير وقطعةً من المعدن توضع في الفم)

لن يكون لك حول ولا قوة.. أكثر مما كنت حالًا..

(يضغط بفوهة آلة التخدير فوق فمه وأنفه مستندًا على)

(صدره حتى يمسك برأسه وأكتافه في وضعٍ سليم)

(على المقعد، كرامبتون يحدث صوتًا غير واضح)

(ويحاول أن يمسك بفالنتين الذي أمامه وبعد دقيقة)

(يحرك كرامبتون يديه بدون هدف ثم يهبطان إلى جنبه)

(ثم يقفان ويصبح في غيبوبة تامة. فيقذف فالنتين بفوهة)

(آلة التخدير فورًا ويأخذ الملقط بمهارة من الكوب)

(ويبدأ في خلع سنته)

ستار

الفصل الثاني

يفتح الستار على منظر الشرفة في فندق "مارين أوتيل" وهي عبارة عن رصيف مستدير ومرصوف بالبلاط- ويتوهج تحت أشعة الشمس- أحيط عند طرفه المواجه للبحر بسور، ويرى رئيس "الجرسونات" وهو مشغول ويضع "الفوط" على المائدة وظهره متجهًا إلى البحر والفندق عن يمينه- ويوجد عن يساره في الزاوية القريبة من البحر مجموعةً من الدرجات تودي إلى الشاطئ- وعندما ينظر أمامه من الشرفة يرى عن يساره قليلًا رجلًا متوسط العمر يجلس على مائدة حديدية صغيرة فوق مقعدٍ ذي ألواحٍ من الحديد- وأمامه على المائدة "سكرية" بها بعض قطعٍ من السكر وهو يقرأ في إحدى الجرائد المحافظة وهو رافع المظلة فوق رأسه حتى تقيه من وهج الشمس التي ظلت ما يقرب من ساعة بعد ظهر أحد أيام شهر أغسطس تشوي وجه الرجل- وعلي جانب شرفة الفندق يوجد مقعد من الطراز المعتاد الموجود في الحديقة التي تشرف على البحر- ويوجد في وسط واجهة الفندق باب الزوار يؤدي إلى الداخل وبالقرب من السور يختفي طريق مؤدي إلى المطبخ بسقيفة عند الباب.

أما المنضدة التي شغل بها "الجرسون" فهي منضدة طويلة قد غطيت بأحد المفارش وحولها خمسة كراسي- كرسيان في كل ناحية- أما الخامس فبالقرب من طرف الفندق، وفي مواجهة السور توجد منضدة أخرى رصت فوقها أدوات البوفيه لخدمة الزبائن.

والجرسون رجل ذو سلوكٍ مثير يرتدي حلةً من الحرير ذو شعرٍ أبيض ونظرة رقيقة، ولكنه مبتهج وقانع بأن في حضوره تشجيعًا على أن يكون الطموح لونًا من ألوان الخشونة التي يلام عليها، وأن يكون الخيال لونًا من

ألوان الخيانة للواقع والكفاءة المعتادة للإنسان.

وللجرسون نظرة دقيقة لهؤلاء الذين يترفعون في ندائهم، والذين يعتزون بنجاحهم ولم يمسهم حقد، أما الرجل الجالس على المائدة الحديدية فهو لا يرتدي ملابس الذين يجلسون على الشاطئ، إنما يرتدي حلة "فراك" لندنية ويضع في يديه قفازات كما يضع على المنضدة قبعته الحريرية الطويلة بجانب "السكرية" وتشهد ملابسه الفاخرة ونظارته ذات الإطار الذهبي على مكانته المحترمة وهو يناهز الخمسين من عمره، حليق اللحية وممتلئ الجسم ويضم طرفي فمه عمدًا كأنما يشك في أنهما يريدان الصعود إلى أعلي ولا يريد أن يحقق لهما هذا الغرض، وهو منبسط الجبين كأنما صمم من شبابه على أن يكون صادقًا شهمًا كريم الأخلاق صالحًا ولكنه لم يفلح في أن يجعل هذه الصفات تسير من تلقاء ذاتها سيرًا لا إراديًّا، ولا يزال من الصعب حتى الآن أن تضحك عليه– ولا تبدو عليه أي ظاهرةٍ من ظواهر الغباء أو حدة العزيمة في طبعه– بل هو على النقيض من ذلك يمر أمامك كأي إنسانٍ يزيد من المستوى العادي في المسئولية والقدرة في أداء مهنته– وهو الآن يستمتع بالجو وبالبحر إلى درجةٍ لا تفقده صبره غير أنه متعب من الأخبار في الجريدة– وهو الآن يلقي نظره على الإعلانات التي ليست طريفة إلى الدرجة التي تدفعه إلى متابعة القراءة..)

الجنتلمان: وهو يقذف بالجريدة في ملل– جرسون!

الجرسون: (وهو مقبل إليه) نعم يا سيدي!

الجنتلمان: هل أنت متأكد أن مسز كلاندون سترجع إلى هنا

قبل الغداء؟

الجرسون: نعم يا سيدي! إنها تنتظرك في الساعة الواحدة إلا ربعًا.

(ينظر الجنتلمان إلى الجرسون نظرةً خاملةً بعدما هدأ)

(من حديثه ويبدو صوته ذا نبرةٍ هادئةٍ ونغمةٍ وخيمةٍ)

(تسري فيه، توحي بالعطف كما توحي بالاهتمام)

(بملاحظته وهو يتكلم بعذوبة وينظر إلى ساعته)

إن الموعد لم يحن بعد يا سيدي، الساعة الآن ١٢.٤٣ لا تزال هناك دقيقتان للانتظار.

عم صباحًا يا سيدي!

الجنتلمان: نعم إنه صباح جميل حقًّا في لندن..

الجرسون: كذلك جميع زوارنا يا سيدي! وأسرة كلاندون أسرة كريمة!

الجنتلمان: هل تحبها؟!

الجرسون: نعم يا سيدي! إن لهم طريقة حرة في المعاملة، تعتبر طريقة جذابة، جذابة حقًّا ولا سيما طريقة الشاب المهذب!

الجنتلمان: أظن أنهما مس دوروتي ومستر فيليب.

الجرسون: أجل يا سيدي! وأن الآنسة الصغيرة تقول لي تذكر يا

وليم أننا حضرنا إلى هذا الفندق لأجلك عندما سمعنا أنك جرسون بالمعنى الكامل، بينما يقول لي شقيقها الشاب المهذب بأني أذكره بقوة بوالده.

(الجنتلمان ينهض عندما يسمع هذه الكلمة)

ويتمنى أن أعمل بجانبه دائمًا....

(في نغمٍ واضح) أوه! إن هذا شيء جميل.. شيء ممتع.. ومبهج من غير شك...

الجنتلمان: (يضحك على حركته) أتحب والده

الجرسون: إنك يجب ألا تعتبر ما يقوله شيئًا جديًّا مطلقًا..

فلو كان ما يقوله صحيحًا للاحظت الفتاة وجوه الشبه بيني وبين والدها كذلك من غير شك.

الجنتلمان: هل لاحظت هي كذلك!

الجرسون: كلا يا سيدي لقد ظنتي الصورة النصفية لشكسبير في كنيسة سترافورد وهذا هو السبب في أنها تدعوني دائمًا وليم مع أن اسمي الحقيقي والتر.

(يعود ليرجع إلى المائدة فيري مسز كلاندون مقبلة)

(إلى الشرفة وهي تصعد الدرجات من الشاطئ)

هذه هي مسز كلاندون يا سيدي

هذا الجنتلمان ينتظرك يا سيدتي.

(إلي مسز كلاندون في صوتٍ فيه ثقة).

مسز كلاندون: اعمل حسابك لضيفين معنا في الغداء يا وليم.

الجرسون: سمعًا وطاعةً يا سيدتي! بكل سرور أشكرك.

(ينسحب صوب الفندق وتتقدم مسز كلاندون باحثة)

(عن زائرها ولكنها تعبر أمام الجنتلمان دون أن تعرفه)

الجنتلمان: (يرمقها من تحت المظلة) ألا تعرفيني يا سيدتي!

مسز كلاندون: (في دهشةٍ وبنظراتٍ حادة) هل أنت مسترفنش م. كوماس؟

كوماس: ألا تستطيعين أن تخمني؟

(يغلق المظلة ويضعها بجانبه ويتكلم بمزاحٍ بعد أن يضع)

(يديه على ردفيه)

مسز كلاندون: أعتقد أنك مستر فنش. م. كوماس؟

(تقدم له يدها ثم يتصافحان كصديقين لم يلتقيا منذ)

(وقت طويل)

أين لحيتك يا مستر فنش؟

(مشيرةً إلى القبعة الحريرية التي على المنضدة.)

هل هذه قبعتك؟

كوماس: هل ترغبين في أن تعيني محاميًا لك بقبعةٍ من لباد؟

مسز كلاندون: لقد كنت أفكر فيك طيلة ثماني عشرة سنة وفي لحيتك وقبعتك اللباد!

(تجلس على مقعد الحديقة بينما يجلس مستر كوماس)

(على مقعده ثانيًا)

مسز كلاندون: هلا تزال تذهب إلى اجتماعات المجمع

كوماس: أنا لا أحضر اجتماعات الآن!

مسز كلاندون: فنش! لقد لاحظت ماذا حدث لك! أنك أصبحت الآن وقورًا.

كوماس: وأنت كذلك؟ ألم تصبحي وقورة؟

مسز كلاندون: كلا لم أدرك من الوقار شيئًا!

كوماس: هلا تزالين متمسكةً بآرائنا القديمة؟

مسز كلاندون: كل التمسك كما كنت دائمًا.

كوماس: فليباركني الله! هلا تزال لديك قدرة على إلقاء الخطبة بين الناس بالرغم من جنسك اللطيف.

(تهز رأسها).

وعلى الدفاع عن وجهة نظر داروين في أصول الأجناس ومقالة جون ستيوارت في الحرية.

(تهز رأسها).

والدعوة إلى قراءة هكسلي وسندال وجورج إليوت.

(تهز رأسها ثلاث مرات).

والدعوة لنيل الدرجات العامية للحصول على الوظائف المهنية والدعوة إلى نيل الحقوق البرلمانية للمرأة كما هي للرجل؟

مسز كلاندون: أجل؟ إنني لم أحد قيد شعرة عن أفكاري في الماضي، ولقد تثقفت ابني جلوريا لتقوم بدوري من بعدي، وهذا هو ما دعاني إلى الحضور إلى إنجلترا إذ شعرت بأني لا أملك الحق في دفنها حية في إقليم ما ديرا وإني أعتقد أنها سوف تصيح من هذه المطالب مثلي غير أنها مهيأة لذلك:

كوماس: ماذا تقولين أيتها السيدة العزيزة؟ تصيح من أجلها؟ فليس من آراء اليوم ما يمنعها من الزواج من رئيس الأساقفة! لقد لمتني يا سيدتي من لحظات لأني أصبحت وقورًا وفي الواقع كنت مخطئة. إني أتمساك بآرائي القديمة كما كنت دائمًا. فأنا لا أذهب إلى الكنيسة ولا أدعى أني أذهب إلى الكنيسة- كما أطلق

على نفسي لقب فيلسوف متطرف يدافع عن الحرية وحقوق الفرد كما تعلمها من الفيلسوف هربرت سبنسر؟! فهل أصيح في الدعوة إلى ذلك! كلا إني منهمك في التمسك بالتقاليد القديمة وبعيد عن كل شيء! لأني رفضت أن أجثو على ركبتي للاشتراكية.

مسز كلاندون: (في صدمة) الاشتراكية

كوماس: نعم فهذا ما سوف نسمعه من مس جلوريا عند نهاية هذا الشهر لو تركنا لها عنان التفكير في المذاهب الحديثة.

مسز كلاندون: (في تأكيد) ولكن أستطيع أن أثبت لها أن الشيوعية شيء زائف.

كوماس: (في تأثر) وتستطيعين أن تثبتي لها كذلك أني فقدت جميع تلاميذي من الشباب يا مسز كلاندون، ولكن كوني حريصة فيما تفعلين ودعيها تسلك الطريق الذي رسمته لنفسها (في مرارة قليلة) إننا أناس من طرازٍ قديم! إن العالم يظن أنه قد خلفنا وراءه، يوجد مكان واحد في إنجلترا يمكن أن تعتبر آراؤنا فيه تقدمية، فهل تعرفينه!

مسز كلاندون: (في احتقار وعدم اقتناع) الكنيسة...! أليس كذلك؟

كوماس: كلا! إنه المسرح..! والآن إلى العمل لماذا نحن قد

حضرنا إلى هنا!؟

مسز كلاندون: هذا كلام طيب! السبب أني أريد أن أراك من ناحية!

كوماس: (في سخرية طيبة) أشكرك.

مسز كلاندون: ولأني أريد أن أجعلك توضح كل شيءٍ لأولادي من ناحيةٍ أخرى– فإنهم لا يعرفون شيئًا وحيث أننا قد عدنا إلى إنجلترا فمن المستحيل أن أدعهم في جهلهم يهيمون أكثر من ذلك (في حدة).

وإني لا أستطيع أن أخبرهم بشيء!

(يقطع حديثهما دخول التوأمين وجلوريا، تدخل دوللي وهي تقفز على السلم وتسابق فيليب ثم تصل إلي)

(أمها أولًا وتحتضنها بين ذراعيها وتكاد تسقط)

(الكرسي الموجود في الحديقة أثناء العناق)

دوللي: (مقطعة الأنفاس) كل شيءٍ على ما يرام يا ماما! طبيب الأسنان سوف يحضر الآن ومعه الرجل العجوز.

مسز كلاندون: ألا ترين مستر كوماس يا عزيزتي؟

(ينهض مستر كوماس مبتسمًا).

دوللي: (يعلو وجهها مسحةً من اليأس) هو!! أين خصلتا شعره؟

فيليب: وأين لحيته؟ وأين معطفه؟ وأين مظهره الشعري؟

دوللي: أوه! مستر كوماس! إنك قد أفسدت نفسك لماذا لم تنتظر حتى نراك كما كنت؟!!

كوماس: (متجهًا إلى الخلف حتى تواجه سخريته حديثها) لأن ثماني عشرة سنة مدة طويلة لكي يبق محام بدون أن يحلق شعره!

جلوريا: (على الجانب الآخر من مستر كوماس) كيف حالك يا مستر كوماس!

(ترجع إلى الوراء وتسلم عليه وتضغط على يديه وتنظر)

(إلى عينيه نظرةً صريحة). إننا سعداء لأن نلتقي بك أخيرًا!!!!

كوماس: إني أظن كذلك يا مس جلوريا.

(تبتسم جلوريا وتخلص يدها من يده بعد ضغطٍ أخير،)

(وتنسحب خلف المقعد الموجود في الحديقة حيث تستند)

(على ظهره بجانب مسز كلاندون)

وهذا الشاب اليافع؟!

فيليب: عمد تعميدًا مثلما يعمد بقية الناس– أما اسمى فهو...

دوللي: (مكملة جملته في لهجةٍ خطابية) نورفال من فوق تلال جرافيا في شمال شرق اسكتلندة..

فيليب: (في جد) وأبي يطعم قطيعه هناك.. وهو رجل مقتصد عاشق للريف.

مسز كلاندون: (محتجة) أعزائي. يا أولادي الأعزاء لا تكونوا حمي عفوًا يا مستر فنش فكل شيءٍ جديدٍ بالنسبة إليهم، ولذلك فهم غلاظ الطباع ويتصورون أن كل رجلٍ إنجليزي يصادفونه أضحوكة.

دوللي: حسنًا! قد يكون كذلك! ولكن الغلطة ليست غلطتنا!

فيليب: إن معلوماتي عن الطبيعة البشرية واسعة يا مستر كوماس ولكني أجد من المستحيل معاملة سكان هذه الجزيرة بطريقةٍ جدية!

كوماس: أنا أعتقد كذلك يا سيد فيليب!

(يقدم إليه يده)

فيليب: (وقد أخذ يد كوماس ونظر إليه في اكتئاب)

لقد كنت أنت أستاذ فنش ذات يوم!

كوماس: (يهز يده ثم يتركها لتسقط ثم يعود متعجبًا...). كم من الغريب على أن أعود إلى الوراء، إلى أيام الصبا...

دوللي: (إلى مسز كلاندون) هل تشرب يا مستر فنش شيئًا.

مسز كلاندون: (محتجة) إن مستر كوماس سوف يتناول الغداء معنا!

دوللي: هل نبهت على الجرسون أن يحضر الطعام لسبعة؟ لا تنسى الجنتلمان العجوز..

مسز كلاندون: إنني لم أنسه يا عزيزتي، ما اسمه!؟

دوللي: شوكستون. سوف يحضر إلى هنا في الساعة الواحدة والنصف.

(توجه الخطاب إلى مستر كوماس) هل أعجبك هذا التصرف؟

مسز كلاندون: (في جدٍّ وتصميم) دوللي! إن لدى مستر كوماس أشياء جدية يريد أن يفصح لكم عنها يا أولادي لقد سألت صديقي القديم أن يجيب على السؤال الذي وجهته إلى هذا الصباح. فهو صديق قديم لوالدكم كما هو صديق قديم لي يقص عليكم قصة زواجي.. أفضل مني! فهل أنت

راضية عن هذا يا جلوريا!؟

جلوريا: (في إنصاتٍ تام) يبدو أن مستر كوماس رجل طيب جدًّا!

كوماس: (في عصبية) شكرًا.. شكرًا.. ولكن هذا القول مفاجأة

لي.. فإني لم أستعد لذلك.

دوللي: (في شك) إننا لا نطلب منك أن تقول شيئًا يستحق الاستعداد.

فيليب: (يستحثه) خبرنا بالصدق!

دوللي: (في تأكيد) عاريًا كالرأس الصلعاء!

كوماس: (في غيظ) آمل أن تكونوا اعتزمتم اعتبار ما أقوله كلامًا جديًّا.

فيليب: (في حدة عميقة) آمل أن يستحق كلامك هذا يا مستر كوماس فإن معلوماتي عن الطبيعة البشرية علمتي دائمًا أن أكون في شك..

مسز كلاندون: (محتجة) فيل..

فيليب: نعم.. إنني أعتذر لك..

دوللي: إننا نقصد الخير..

فيليب: أغلقا فمكما..

(تغلق دوللي فمها بينما يجذب مستر كوماس كرسيًّا من)

(حول مائدة الغداء ويضعها بين المنضدة الصغيرة)

(ومقعد الحديقة وتبدو دوللي عن يمينه وفيليب عن يساره)

(ويجلس مستر كوماس على مقعده في هيئةٍ توحي بأنه)

(سوف يبدأ في عمل اتصالاتٍ طويلة وترقب أسرة)

(كلاندون ما ينوي أن يتفوه به)

كوماس: احم.. والدكم؟

دوللي: كم سنه؟

فيليب: اش..

مسز كلاندون: (في نعومة) عزيزتي دوللي.. لا تجعلينا نقاطع مستر كوماس..

مسز كلاندون: (في تأكيد) أشكرك يا مسز كلاندون.. أشكرك.. إن والدك يا دوللي في السابعة والخمسين.

دوللي: (تدهش عندما تسمع هذا الكلام وتضطرب) السابعة والخمسين؟

وأين يعيش الآن؟

مسز كلاندون: (محتجة) دوللي.. دوللي؟

مسز كوماس: (موقفًا إياها) دعيني أجيب يا مسز كلاندون.. فإن إجابتي سوف تثير دهشة عجيبة لديها.. أنه يعيش الآن في نفس المدينة.

(تنهض مسز كلاندون عمدًا وهي غاضبة لكنها تجلس)

(مرة ثانية دون أن تتكلم بينما ترفعها جلوريا في)

(اضطراب).

دوللي: (في اقتناع) لقد علمت يا فيليب أن شوكستون هو والدنا.

كوماس: شوكستون؟

دوللي: كرامبتون؟ أو أي اسم آخر.. لقد أخبرني أنني أشبه أمه ولعله يقصد بذلك ابنته.

فيليب: (في جد) مستر كوماس.. أنني أريد أن أقدر شعورك ما استطعت إلى ذلك سبيلًا ولكني أحذرك من التمادى في القول بأن مستر كرامبتون الذي يعيش معنا في هذه المدينة هو والدي فإني سوف أرفض أن استمع إلى المعلومات التي تسردها لحظة بعد ذلك..

كوماس: ولماذا تحذرني؟

فيليب: لأني رأيت هذا الرجل وهو غير لائق لكي يكون أبًا لي أو أبًا لدوللي أو أبًا لجلوريا أو زوجًا لوالدتي.

كوماس: أوه.. هذا حق ولكن دعني أخبرك بالحقيقة سواء قبلتها أم لم تقبلها فهو أبوك وأب لشقيقتك وزوج لوالدتك.. والآن هل لديك شيء تريد أن تقوله؟

دوللي: (في نغمة باكية) ليس هناك داع إلى الغضب..

أليس كرامبتون والدك؟

فيليب: مستر كوماس.. إن سلوكك معنا من غير رحمة.. فأنت تجد هنا أسرة تستمتع بالسلام الذي لا يكدره مكدر وتنعم بالحرية لأن أبناءها يتامى. وأنا لم نر قط وجه قريب ولم نعترف بحق أحد اللهم إلا حق الأصدقاء المختارين، إلا أنك الآن تريد أن تقذفنا في علاقة قوية مع شخص لا نعلم عنه شيئًا.

دوللي: (في سورة من الغضب) إنه رجل عجوز فظيع.. (في عتاب) وأنت بدأت الحديث معنا كأن أبانا رجل طيب..

كوماس: (في غضب) كيف علمت أنه غير طيب؟ وأي حق لك في اختيار والدك؟

(يرفع صوته) ودعيني أخبرك يا مس كلاندون أنك لا تزالين صغيرة:

دوللي: (مقاطعة إياه فجأة وفي شغف) قف.. لقد نسيت هل لديه مال؟

كوماس: أنه يمتلك قدرًا كبيرًا من المال..

دوللي: (في بهجة) هذا ما كنت أقوله دائمًا يا فيل..

فيليب: دوللي.. ربما كنا أصدرنا حكمًا عاجلًا على هذا الرجل.. أكمل يا مستر كوماس..

كوماس: لن أكمل يا سيدي.. فإني أهنت جدًا، وصدمت جدًا.

مسز كلاندون: (تصارع عواطفها) فنش.. هل عرفت ماذا سيحدث وهل فهمت أن أولادي دعوا هذا الرجل لتناول الغداء معنا، وأنه سوف يحضر إلى هنا بعد دقائق معدودة؟

كوماس: (في اضطراب تام) ماذا تقصدين بهذا الكلام؟ هل أفهم من هذا أن ..

فيليب: هدئ روعك يا مستر كوماس.. وفكر في الأمر في هدوء وبعناية فإنه سوف يحضر. سوف يحضر لتناول الغداء.

جلوريا: وأي واحد منا سوف يخبره بالحقيقة؟ هل فكرتم في ذلك؟

مسز كلاندون: فنش يجب أن تخبره أنت؟

دوللي: أن مستر فنش لا يحسن الأفصاح عن الحقائق، أنظروا إلى تلك الحقيقة التي أفصح لنا بها منذ لحظات؟

كوماس: إنني أحتج على هذا الكلام.. فلم يكن يسمح لي بأكثر مما قلت.

دوللي: (متناولة ذراعه) عزيزي مستر فنس. لا تغضب.

مسز كلاندون: جلوريا.. هيا بنا ندخل، فقد يحضر بين لحظة وأخرى.

جلوريا: (في كبرياء) لا تتحركي يا والدتي.. فإني لن أتحرك ويجب

ألا نهرب.

مسز كلاندون: عزيزتي.. نحن لا نستطيع أن نجلس لتناول الغداء كما نحن الآن..

سوف نعود إلى هنا مرة ثانية يجب ألا نتظاهر بالشجاعة في مثل هذه المواقف.

(جلوريا ترتجف ثم تذهب إلى الفندق من غير أن تفوه)

(بكلمة واحدة).

تعالي يا دوللي..

(وهي تذهب إلى باب الفندق بينما يحضر الجرسون)

(وهو يحمل صينية فوقها أطباق).

الجرسون: لم يحضر السادة الزوار بعد يا سيدتي..

مسز كلاندون: سوف يحضرون إلى هنا حالًا.

(تذهب إلى داخل الفندق ويحمل الجرسون الصينية)

(لخدمة الموائد).

فيليب: عندي فكرة يا مستر كوماس.. أليست مهمة الاتصال تتطلب رجلًا ذا ذوق لا يحد؟

كوماس: أنها تتطلب ذوقًا من غير شك.

فيليب: حسنًا يا دوللي أي ذوق استرعى انتباهك هذا الصباح يا دوللي؟

دوللي: (في طرب) انتظر.. سوف أخبرك..

فيليب: نفس الرجل.. وليم (ينادي وليم).

الجرسون: نعم يا سيدي.

كوماس: الجرسون! قف.. قف.. أني لا أسمح لك بذلك.

الجرسون: (يقدم نفسه بين فيليب وكوماس) نعم يا سيدي.

(تعلو وجه مستر كوماس مسحة من اليأس وتفقد عيناه).

(كل قدرة على الحركة والتعبير)

(ثم يجلس في ذهول)

فيليب: وليم.. هل تذكر طلبي أن تعتبرني كابن لك؟

الجرسون: (في احترام) نعم يا سيدي أني في خدمتك.

فيليب: وليم.. في اللحظة التي بدأت فيها دورك كأب لي ظهر منافس لك على المسرح؟

الجرسون: والدك الحقيقي يا سيدي هذا شيء متوقع أن عاجلًا أو آجلًا..

(تتلألأ على ثغرة ابتسامة مشرقة إلى مستر كوماس).

هل أنت والده يا سيدي؟

كوماس: (في زهو) من غير شك لا فإن أولادي يعرفون حق المعرفة كيف يسلكون..

فيليب: كلًا فإن هذا الجنتلمان كان صديقًا.. لوالدي.. وطلب يد والدتي ولكن من غير جدوى.

كوماس: (في غضب) ماذا؟ ماذا تقول؟

فيليب: أش.. والآن هو محامينا ألم تر أحدًا في أسرة كرامبتون في هذه المدينة؟

الجرسون: هل تعني مستر كرامبتون الأحول الذي يحمل عصا معوجة؟

فيليب: أنا لا أعرف هل هو الذي يملك فندقًا يا مستر فنش؟

كوماس: (ناهضًا من مكانه وقد تأثر من هذا الكلام) كلًا..

كلًا.. ان والدك يا سيدي رجل عظيم هنا ويعمل في بناء اليخوت..

الجرسون: (متأثرًا) أني اعتذر لك يا سيدي.. وأثق أنك نجل مستر كرامبتون..

فيليب: أنه سوف يحضر لتناول الغداء معنا..

الجرسون: (في حيرة) حسنًا يا سيدي ولكن لا تتناول الغداء خشية أن يعرف أنك..

فيليب: (في حدة) وليم أنه لا يعلم أننا أسرته فهو لم يرنا منذ ثمانية عشر عامًا.

(يقفز فيليب ليجلس على المائدة الحديدية ثم ينظر) (إلى الجرسون وقد ضم شفتيه وأخذ يحرك ساقيه)

دوللي: أننا نرغب في أن ننقل الأخبار في لطف إليه.

الجرسون: ولكني أعتقد أنه سوف يعرفكم عندما يرى والدتكم.

(فيليب يوقف حركة ساقيه وينظر إلى الجرسون في)

(ذهول)

دوللي: في حيرة لم أكن أفكر في ذلك مطلقًا.

فيليب: وأنا كذلك.

(ينهض من المنضدة ليلوم كوماس).

حتى أنت يا مستر كوماس؟

دوللي: وتدعي أنك محام..

فيليب: أن عجزك في هذه المهنة مريع. وأن حكمتك يا وليم قد أسلمتنا إلى الخجل.

دوللي: أنك حقًا مثل وليم شكسبير..

الجرسون: عفوًا يا سيدي.. ودعي عنك هذا الكلام يا آنستي.. أنني أتمنى السعادة لكم..

(يذهب في تواضع إلى مائدة الطعام ثم يضع مفرشين)

(إضافيين أحدهما عند المائدة الموجودة عند درجات)

(السلم والثاني عند المائدة الموجودة بجوار الدرابزين)

فيليب: (يقبض فجأة على ذراع مستر كوماس ويقوده إلى داخل الفندق).

تعالي يا فنش وأغسل يديلك.

كوماس: أنني أهنت تمامًا.. وأوذيت يا مستر كلاندون.

فيليب: (مقاطعًا إياه) إنك سوف تستفيد منا.. تعالي يا دوللي

(يدخل مستر كوماس الفندق بينما يتبعه فيليب في هدوء)

(وهو غير مضطرب).

دوللي: تتراجع لحظة عند درجات السلم ثم تتبعهم).

احتفظ بقفشاتك يا وليم.. فسوف تكون هناك ألعاب نارية.

الجرسون: حسنًا يا سيدتي.. يمكن أن تعتمدي على.

(تدخل دوللي إلى الفندق).

(يحضر دكتور فالنتين في هدوء ويصعد من الشاطئ بينما)

(يتبعه مستر كرامبتون في انقياد تام. ويحمل فالنتين في يده)

(عصا للسير، أما مستر كرامبتون فأما لأنه عجوز يرتجف وإما)

لأنه لا يهتم بمظاهر الأناقة في السترة التي يرتديها، يتدثر بمعطف)

(خفيف، ويقف عند المقعد الذي عن يسار مستر كوماس)

(في وسط الشرفة ويجلس على المقعد بعدما يسند يده عليّ).

(ظهر الكرسي)

كرامبتون: لقد أطاشت درجات السلم صوابي.

(يضع يده على جبهته ثم يمررها على وجهه).

أنني لم أشف بعد من هذا المخدر الخبيث..

(يذهب إلى الكرسي الحديدي ثم يسند ذراعه على المنضدة)

(ويجلس واضعًا رأسه بين يديه ثم يسترجع قواه ويأخذ)

(في فك أزرار سترته بينما يواجه، الدكتور فالنتين)

(الجرسون)

فالنتين: جرسون.

الجرسون: (يحضر) نعم يا سيدي.

فالنتين: أين مسز لانفري كلاندون.

الجرسون: (في ابتسامة ترحاب) نعم يا سيدي.. أننا ننتظرك هذه هي مائدتك.. إن مسز كلاندون ستحضر حالًا.. وكانت الآنسة وشقيقها الجنتلمان يتجاذبان أطراف الحديث عن صديقك منذ لحظة يا سيدي.

فالنتين: هل هذا صحيح؟

الجرسون: (في نغم رقيق) أنهم مسرورون جدًا يا سيدي.

(يذهب إلى كرامبتون الذي يخلع معطفه).

أرجو قبول عذري يا سيدي.. هات.. المعطف لو سمحت لي..

(يساعده على خلع المعطف ويأخذه منه).
أشكرك يا سيدي.
كرامبتون يجلس على المقعد بينما يتكلم الجرسون في)
(نغمة دقيقة).

أن أخبار الجنتلمان الأخيرة تفيد أنك يا سيدي والده.

كرامبتون: ماذا؟

الجرسون: هذه هي آخر نكتة عنده من نكته المحبوبة.. فبالأمس كان على أن أكون والدًا له واليوم حالمًا سمع أنك سوف تحضر يا سيدي حاول أن يقنعني بأنك والده.. والده المفقود الذي لم يره منذ ثمانية عشر عامًا.

كرامبتون: (في دهشة) ثمانية عشر عامًا.

الجرسون: (في رقة) نعم يا سيدي.. لقد صدقت ألاعيبه، ولاحظت أن هذه الفكرة طرأت له عندما جلس هناك يفكر في النكتة الجديدة التي سوف يقصها علي.. والواقع يا سيدي أنه شاب يبعث السرور في النفس.. يسمو عن المستوى العادي أنه أنيس ممتع..

(يوجه الخطاب إلى فالنتين الذي يضع عصاه على زاوية)

(المقعد في الحديقة).

هل تأذن لي يا سيدي.

(يأخذ العصا).

أشكرك يا سيدي.

(فالنتين يجلس على مائدة الغداء ويرمق قائمة الطعام).

(بينما يلتفت الجرسون إلى مستر كرامبتون ويستأنف)
(حديثه).

حتى المحامي أنس إلى هذه النكتة مع أنه كان يتحدث معي في ثقة تامة عن هذا الشاب.. صدقني يا سيدي أنك لا تستطيع أن تتصور كيف يخرج هواء البحر أصحاب الحرف المحترمين في لندن عن وقارهم.

كرامبتون: هل هناك محام معهم؟

الجرسون: أجل محامي العائلة واسمه مستر كوماس.

(يذهب صوب مدخل الفندق بالمعطف والعصا وهو منشرح)

(لا يشعر بالصدمة، التي وقعت على مستر كرامبتون)
(عند ما نطق باسم كوماس).

كرامبتون: (يصيح في غضب) مستر كوماس.

(مناديًا فالنتين) فالنتين (يعود فالنتين).

هذه هي مؤامرة.. هذه هي أسرتي.. هؤلاء هم أبنائي.. هذه هي زوجتي اللعينة..

فالنتين: (في هدوء) حقًا إنها مقابلة طيبة.

(يمعن النظر في قائمة الطعام).

كرامبتون: مقابلة إنها ليست مقابلة معي.. دعني أخرج.. أعطني المعطف (مناديًا الجرسون) وليم..

الجرسون: نعم يا سيدي.

(يحضر عصا فالنتين ويضعها في عناية على مائدة الغداء)

(ويحمل المعطف ليمكن مستر كرامبتون من ارتدائه).

يخيل لي أنك أصدرت حكمًا غير صحيح على الجنتلمان أليس كذلك يا سيدي؟

كرامبتون: (يقف قبل أن يضع ذراعيه في الأكمام ويوجه الخطاب) (إلى فالنتين في شك مفاجئ)

هل أنت يا فالنتين طرف في هذه المؤامرة أم هل أنت المدبر الأول لها؟

فالنتين: بوش..

(يرمي قائمة الطعام على المائدة ثم ينظر بعدم اهتمام إلى السور)

كرامبتون: (في غضب) ماذا فعلت؟

(يدخل مستر كوماس يتبعه فيليب ودوللي ولكن كوماس يتراجع عندما يرى كرامبتون).

الجرسون: لتهدأ يا سيدي

(يقاطعه في نعومة) لقد حضروا..

(يأخذ عصا فالنتين ثم يتجه صوب الفندق ويضع المعطف)

(على ذراعه، يحرك مستر كوماس شفتيه عمدًا ويتجه)

(صوب كرامبتون الذي يتراجع وهو ينظر إليه ويداه)

(معقودتان وراء ظهره ويتقدم مستر كوماس وهو منبسط)

(الجبين ويواجه مستر كرامبتون بضمير لا يشوبه شيء)

(يخاطب الجرسون فيليب وهو يمر بجواره)

لقد حملت الأخبار إليه)..

فيليب: إن قيمتك يا وليم لا تقدر بمال..

دوللي: (من جانب الجرسون) كيف سقت الأخبار إليه؟

الجرسون: (من جانبها) لقد دهش أولًا غير أنه استكان أخيرًا.. استكان حقًا.

كوماس: (يحمل العصا والمعطف إلى داخل الفندق بعد أن حملق إلى ملامحه).

إذن فأنت هنا يا مستر كرامبتون..

كرامبتون: نعم أنا هنا موضوع في مصيدة بواسطة خطة دنيئة هل

هؤلاء أولادي؟

فيليب: (في أدب تام) هل هذا هو والدنا يا مستر كوماس؟

كوماس: (في صرامة) نعم هو.

دوللي: (في صوت تقليدي) نحن مسرورون لأن نلتقي بك مرة ثانية.

(تتجول حول المائدة وتتبادل النظرات مع فالنتين).

فيليب: هل تأذن لي بأداء أول واجب على كمضيف وهو أن أطلب لك نبيذًا.

يأخذ قائمة الخمور من فوق المائدة بشكل يدل على اهتمام فيليب البالغ بقائمة الطعام وعدم اهتمام دوللي بمستر كرامبتون، إنهما سبق أن تعارفا به عرضًا عند طبيب الأسنان، فيغوص ضمير الأب إلى أعماقه، وترتعد فرائصه، وينفصد جبينه عرقًا، وينظر دون أن يتكلم إلى أبنه الذي شعر بقسوته فتعمد أن يشاركه في سخريته ولباقته وتقدم في انشراح).

فنش.. هل تحضر شيئًا معتقًا لمحامي الأسرة المحترم؟

كوماس: (في حده) بيرة أبو لونارس.. لا أريد شيئًا ساخنًا. (يسير إلى جانب الشرفة كأنما هو رجل تشتد الحاجة إليه).

فيليب: دكتور فالنتين.

فالنتين: هل تعتبر البيرة شرابًا مقبولًا.

فيليب: من المحتمل أن تكون كذلك. سنطلب منها شيئًا.

(يلتفت إلى كرامبتون في انشراح وأدب).

والآن يا مستر كرامبتون.. ماذا نطلب لك؟

كرامبتون: ماذا تقصد يا ولد؟

فيليب: (في اكتئاب) ولد.. أي خطيئة في أن أكون ولدًا.. (يجذب كرامبتون قائمة الخمور في وقاحة من فيليب ويزعم أنه يقرؤها فيتركها له فيليب في أدب تام).

دوللي: (تنظر من فوق كتف كرامبتون الأيمن).

الويسكي موجود في الصفحة قبل الأخيرة.

كرامبتون: دعيني وحيدًا يا بنت.

دوللي: بنت.. لا.. لا.. ناديني دوللي إذا أردت أنت تناديني ولا تقل لي بنت.

(تضع البنت ذراعها في يد أخيها فيليب، ويقفان أمام أبيهما كأنه شخص غريب).

كرامبتون: (يمسح جبينه في غضب وألم ولكن مداعبة أولاده تخفف من غضبه).

مستر كوماس.. أظن أننا سوف نتناول وجبة.. وجبة لذيذة.

كوماس: في ابتهاج لا أرى سببًا يجعلها غير لذيذة؟

فيليب: أن وجه فنش نفسه وجبة لذيذة.

(تحضر مسز كلاندون ومعها جلوريا من الفندق وتتقدم في اعتداد بالنفس وعجرفة وتقف عند عتبة السلم وتخاطب فالنتين الذي تراها في طريقها. وتقف جلوريا وهي تنظر إلى مستر كرامبتون في اشمئزاز).

مسز كلاندون: أنني سعيدة أن أراك يا دكتور فالنتين.

(يضحك فالنتين وتمر مسز كلاندون لتواجه كرامبتون وهي تعتزم أن تخاطبه في هدوء ولكن منظره يرعشها فتقف فجأة وتتكلم في شوق وقد أدركها شيء من تأنيب الضمير).

فرجوس.. لقد تغيرت كثيرًا.

كرامبتون: (وهو متجهم) أستطيع أن أقول إن الإنسان يتغير كثيرًا في ثمانية عشر عامًا.

مسز كلاندون: (مضطربة) أنا لا أقصد ذلك ولكني آمل أن تكون صحتك جيدة..

كرامبتون: أشكرك كلا ليست صحتي التي تعنين أن تكون جيدة إنما هي سعادتي التي تقصدين بكلامك كما أعتقد.. (ينفجر بهذا الكلام فجأة).

أنظر إليها.. أنظر إليها يا مستر كوماس.

(في نصف ضحكة ونصف بكاء). ثم أنظر إلي

فيليب: أش.

دوللي: (مشيرًا إلى مدخل الفندق حيث يظهر الجرسون فجأة) (ممسكة بذراع كراميتون محذرة) أحم..

(يذهب الجرسون إلى مائدة السرفيس ثم يعرج إلى مدخل المطبخ حيث يظهر جرسون آخر صغير ومعه أطباق الشوربة كما يظهر طباخ يرتدي مريلة بيضاء وطاقية طويلة ومعه سلطانية الشوربة. صبي الجرسون يظل في مكانه وهو يخدم بينما يدخل الطباخ ثم يظهر بين الحين والحين في أثناء ذلك يقطع الخبز ولكنه لا يخدم على الموائد ثم يحضر الجرسون الأول إلى مائدة الغداء بجوار درجات السلم).

مسز كلاندون: (وهم مجتمعون حول المائدة).

أظن أنكم التقيتم ببعضكم اليوم قبل ذلك أوه.. أعذروني..

هذا هو دكتور فالنتين، وهذا هو مستر كوماس.

(تذهب إلى نهاية المائدة الواقعة بجوار الفندق).

فرجوس هل لك أن تجلس في صدر المائدة؟

كرامبتون: (وهي تضحك) ها ها، صدر المائدة؟

الجرسون: (يمسك الكرسي ليشجعه على الجلوس) هذه الناحية يا سيدي..

(يرضخ مستر كرامبتون ويجلس على مقعده)

أشكرك يا سيدي

مسز كلاندون: مستر فالنتين.. هل لك أن تجلس على هذا الجانب مع جلوريا.

(مشيرة إلى الجانب الذي بجوار السور – فالنتين وجلوريا يتخذان مقعديهما – جلوريا بعد كرامبتون وفالنتين بعد، مسز كلاندون).

فنش.. لا بد أن تجلس في هذا الجانب بين دوللي وفيليب.. لا بد أن تحمي نفسك منها ما استطعت إلى ذلك سبيلًا..

(يأخذ الثلاثة الجانب الباقي من المائدة، دوللي بعد والدتها، وفيليب بعد والده كرامبتون، ويحمل الجرسون أطباق الشوربة).

الجرسون: هل تريدين الشوربة ثقيلة، أم خفيفة؟

كرامبتون: (إلى مسز كلاندون) ألم يسأل أحد الله السعادة لأهل هذا البيت؟

فيليب: (متداخلًا في أناقة) دعنا أولًا نقرر ما سوف نتناوله يا وليم.

الجرسون: بكل سرور يا سيدي..

(يدور حول المائدة حتى يصل إلى ذراع فيليب الأيسر، وفي طريقه يصفر لصبي الجرسون).

ثقيلة..

فيليب: كوبان صغيران من البيرة.. للأولاد كالعادة يا وليم (يقصد نفسه ودوللي) وواحد كبير لهذا الجنتلمان (مشيرًا إلى فالنتين). وشوب كبير من بيرة أبولونارس لمستر كوماس.

الجرسون: سمعًا وطاعة يا سيدي.

دوللي: هل تريد بيرة إيرلندية يا مستر فنش.

كوماس: (مأخوذًا من الفضيحة) لا.. لا.. أشكرك.

فيليب: بيرة رقم ٣١٤ لوالدتي ولمس جلوريا كما كنت تقدمها لهما (ثم يشير إلأى كرامبتون)، وأنت؟

كرامبتون: (يقطب جبينه ويجيب في اشمئزاز) أنا؟

الجرسون: حسنًا يا سيدي.. إنا نعرف ماذا يجب أن يتناول مستر كرامبتون هنا.

(يذهب إلى الفندق).

فيليب: (ينظر إلى أبيه في حدة) هل ترتاد الحانات.. أنها عادة رديئة.

(الطباخ يحضر متبوعًا بالجرسون ومعه أطباق ساخنة وطبق به سمك يضعه فوق مائدة السرفيس ويبدأ في تقطيعه).

كرامبتون: أعتقد أنك تعلمت هذا الدرس من والدتك.

مسز كلاندون: فيليب هل لك أن تعرف أن نكاتك تضايق الناس الذين لا يتعودون عليها وأن والدك هو ضيفنا اليوم.

كرامبتون: (في ألم) نعم ضيف في صدر المائدة؟

(يرفع الجرسون أطباق الشوربة).

دوللي: (في رقة) إن هذا شيء يبعث على الضيق وهو شيء ذميم بالنسبة إلينا.

فيليب: أش دوللي.. أننا في الواقع في حاجة إلى قليل من الذوق أنت وأنا (يوجه الخطاب إلى كرامبتون).

أننا نقصد خيرًا يا مستر كرامبتون.. ولكن روابط البنوة بيننا لا تزال غير قوية.

(يعود الجرسون من الفندق وهو يحمل المشروبات)

تعال يا وليم واحفظ لنا المشاعر الطيبة.

الجرسون: بكل سرور يا سيدي.. قدح صغير لك يا سيدي نبيذ أيرلندي (لمستر كرامبتون).

بيروة أبولونارس (إلى مستر كوماس).

قدح صغير من البيرة (إلى دوللي).

نبيذ ماركة ٣١٤ (إلى مسز كلاندون ويسكب النبيذ في الإناء).

كوب كبير من البيرة (إلى فالنتين).

نبيذ ماركة ٣١٤ (إلى جلوريا) يا آنستي..

دوللي: (وهي تشرب) في صحة الأسرة.

فيليب: (يشرب) في صحة الدفء والمنزل.

(يحمل الجرسون السمك ويضعه على المائدة).

كوماس: أننا بدأنا نتحسن بشكل ظريف بعد كل هذا.

دوللي: (في انتقاد) بعد كل هذا، بعد ماذا يا مستر فنش؟

كرامبتون: (في سخرية) يقصد أنك تحسنت بشكل ظريف بالرغم من وجود والدك أليس كذلك يا مستر كوماس؟

كوماس: (غير موافق).. لا.. لا.. أنني قلت بعد كل هذا لأكبر من شأن الجملة.

الجرسون: سمك نرس يا سيدي.

كوماس: (يتعمد الشكر ليقاطع الأخوين) أشكرك يا جرسون أشكرك جدًا.

الجرسون: العفو يا سيدي، العفو.

(ينسحب إلى مائدة السرفيس).

كرامبتون: (إلى فيليب) هل فكرة في اختيار مهنة لك؟

فيليب: أنني لا أزال أفكر في هذا الموضوع.. وليم.

الجرسون: نعم يا سيدي.

فيليب: كم أحتاج من الزمن حتى أصبح جرسونًا حقيقيًا.. أنيقًا؟

الجرسون: أن هذا شيء لا يعلم يا سيدي.. أنه استعداد هل تريدين خبزًا يا آنستي؟

(يذهب لإحضار الخبز لجلوريا ثم يستأنف حديثه)

أناس قلائل هم المستعدون لهذا العمل.

فيليب: ألا يحدث في بعض الأحوال أن يرث الجرسون عمله عن والده؟ وأنت ألم ترثه عن والدك؟

الجرسون: نعم يا سيدي.

(يسقط صورته إلى جلوريا) سمك جديد.. هل تريدين قطعة من لحم الفخذ.

جلوريا: لا، وأشكرك.

(يرفع الجرسون أطباق السمك ويأخذ في خدمتهم).

دوللي: هل أبنك جرسون كذلك؟

الجرسون: (وهو يقدم إلى جلوريا قطعة من الدجاج) كلا يا آنستي أنه شاب قوي وموجود في الحانة؟

كوماس: هل يعمل مناولًا؟

الجرسون: (في نغمة حزينة كأنما يعبر عن خيبة أمل).

كلا يا سيدي.. أنه يجلس في الحانة المجاورة.

أنه يعمل في نفس مهنتك يا سيدي.

كوماس: أنني أعتذر لك عن هذا الكلام.

الجرسون: كلا يا سيدي أنها غلطة طبيعية كم تمنيت من مدة طويلة أن يعمل مناولًا حتى لا أتكبد نفقاته.

(يوجه الكلام إلى فالنتين الذي يرى وهو مرتبك)

الملح بجوار ذراعك يا سيدي (مستأنفًا الحديث)

لو كان مناولًا منذ أمد طويل لما ظللت أنفق عليه حتى بلغ السابعة والثلاثين ولكنه ولله الحمد الآن في حالة مرضية ويكسب ما يقرب من خمسين جنيهًا.

كوماس: ديمقراطية.. كرامبتون.. هذه هي الديمقراطية الحديثة.

الجرسون: (في هدوء) كلا يا سيدي أنها ليست ديمقراطية بل هو التعليم، المنح الدراسية.. جامعة كامبردج.. كلية سدني ساسكس.

(دوللي تقلب له كمه وتهمس له وهو ينحني)

بيرة ستون جنجر.. بكل سرور يا آنستي.

(إلى مستر كوماس)

أنه لم يكن يحيد عن العمل الحق ذات يوم.

(يدخل في الفندق تاركًا الجميع في دهشة من نبوغ أبنه).

فالنتين: أي أحد فينا يجرؤ على إعطاء الأوامر له مرة أخرى.

دوللي: أظن أنه لن يهتم بطلبي للبيرة ماركة جنجر.

كرامبتون: (في عناد) أنه جرسون ومهمته أن يخدم ولو أنكم عاملتموه كما يجب أن يعامل الجرسون لأمسك لسانه عن الكلام.

دوللي: أية خسارة تكبدناها من أجل ذلك؟ ومن يدري فربما يقدمنا إلى أبنه ويجعلنا نشترك في مجتمعات لندن.

(يظهر الجرسون مرة ثانية ومعه بيرة جنجر).

كرامبتون: (وهو يدمدم في احتقار) مجتمعات لندن.. أنك غير لائقة للاشتراك في أي مجتمع يا فتاة..

دوللي: (ثارت ثائرتها) الآن أنظر إلى يا مستر كرامبتون.. لو ظننت أن..

الجرسون: بيرة جنجر يا آنستي.

دوللي: (تلتقط أنفاسها ثم تعاود الكلام في نعومة).

أشكرك يا وليم العزيز لقد أحضرت البيرة في الوقت المناسب.

(تشرب البيرة).

كوماس: هل لي أن أغير مجرى الحديث يا مس كلاندون؟ أي دين شائع في ماديرا؟

جلوريا: أظن أنها ديانة البرتغاليين.. أني لم أسأل عن ذلك ذات يوم.

دوللي: هل يحضر لك الخدم في الصوم الكبير ويركعون أمامك ويعترفون بأخطائهم التي اقترفوها ثم تدعي أنت أنك صفحت عنهم؟ هل هم يفعلون ذلك في إنجلترا يا وليم؟

الجرسون: كلا في العادة.. فربما هم يفعلون ذلك في بعض الأطراف غير أني لم ألحظ ذلك.

(ينظر إلى مسز كلاندون وصبي الجرسون يقدم لها طبق السلاطة).

هـل تريـدين قلـيلًا مـن السـلاطة مـن غـير توضـيب يا سـيدتي.. بكـل سـرور عنـدي بعـض السـلاطة مـن غـير توضيب.

(يحرك زميله لخدمة جلوريا).

انظر إلى هذا الجانب.

(يحضر كمية خاصة من السلاطة حيث يعدها بجوار مسز كلانـدون وفي ذلـك الوقـت يشـعر أن دوللـي لـوت وجهها) لقد وضع في الطبق قليلًا من نبات أبو جنجر على سبيل الخطأ..

آسف يا أنسة.

(يأخذ طبق السلاطة منها، وينصح صبي الجرسون بخدمة دوللي).

أشكرك يا آنسة، وأغلب المذاهب السائدة هنا مذاهب رجال الكنيسة الإنجليزية.

دوللي: مذاهب رجال الكنيسة الإنجليزية؟ أي خزعبلات هذه؟

كرامبتون: (ينهض بعنف وفي رعب) أنك ترى كيف تربي أبنائي يا مستز كوماس.. أنك تسمع وأنك ترى.. أني أستشهد بكم جميعًا.

(تثور ثائرته ويهم أن يضرب المنضدة بقبضة يده حينما

يقبل الجرسون لتناول طبقه)

مسز كلاندون: (في خشونة) أجلس يا مستر فرجوس ليس هناك داع لهذا الانفجار يجب أن تذكر أن دوللي فتاة غريبة هنا.. أرجو أن تجلس.

كرامبتون: أنني أشك في أني أستطيع أن أجلس هنا وأرى هذا.

الجرسون: هل تريد جبنًا أم جلوي باردة؟

كرامبتون: جبن.. جبن.. دعه عني..

دوللي: أحضر لي علبة سجائر يا وليم..

(يحضر علبة سجائر من مائدة السرفيس ويضعها على مائدتها وتختار واحدة منها ثم تبدأ في التدخين ويعود الجرسون إلى مائدة السرفيس لإحضار علبة الثقاب).

كرامبتون: في دهشة إلى دوللي.. هل تدخنين؟

دوللي: في صبر نافد حقًا يا مستر كراميتون.. أنني خائفة أن أكون قد أفسد غذاءك.. سوف أذهب لتدخين سيجارتي على الشاطئ.

(تترك المائدة فجأة وتذهب إلى السلم).

(الجرسون يشعل عودًا من الثقاب ثم يشعل سيجارتها).

أشكرك يا عزيزي وليم.

(تختفي خلف السلالم).

كرامبتون: (في غضب) مارجريت.. استدعي الفتاة أن تحضر.. استدعيها أن تحضر.. أنا قلت ذلك.

كوماس: (محاولًا أن يجنح إلى السلم تعال يا كرامبتون لا تحزن.. أنها ابنتك وأنت أبوها وهذا كل ما في الأمر.

مسز كلاندون: (في استياء عميق) لا أظن ذلك يا فنش. (الجميع ينهضون قليلًا).

دكتور فالنتين هل لك أن تلتمس لي المعذرة، فإني خائفة أن تكون دوللي أهينت وتكدرت مما حدث، لا بد أن أذهب إليها.

كرامبتون: هل تعنين بهذا أنك تثيرينها علي؟

مسز كلاندون: (متجاهلة حديثه) جلوريا هل لك أن تجلسي في مكاني يا عزيزتي عندما أذهب؟

(تعبر السلالم وتنزل إلى الشاطئ وتدل ملامح كرامبتون على الكراهية الشديدة بنما ينظر الجميع في صمت وضجر شاعرين أن الحادث خطير ويسوق الجرسون زميله إلى مدخل المطبخ ويترك مائدة الطعام لهم).

كرامبتون: (يقذف بنفسه في كرسيه) توجد لك أم توجد لك أم يا مستر كوماس.. أليس كذلك؟

جلوريا: (في ثبات) أجل، وأم طيبة.

كرامبتون: وأب فاسد هذا ما تريدين أن تقوليه؟

فالنتين: (ناهضًا في كبرياء مخاطبًا جلوريًا) مس كلاندون أبي.

كرامبتون: (مخاطبًا إياه) أن اسم الفتاة كرامبتون يا دكتور فالنتين وليس كلاندون هل تريد أن تشاركهم في إهانتي؟

فالنتين: (متجاهلًا كلامه) لقد فاضت الأحداث بي يا مس كلاندون.. وأنها غلطتي.. لقد أحضرته إلى هنا ولذلك فإني مسئول عنه وخجلان منه.

كرامبتون: ماذا تعني؟

جلوريا: (تنهض في برود) لم يحدث شيء فيه ضرر يا دكتور فالنتين.. أخاف أن نكون جميعها أطفالًا وأن يكون اجتماعنا فاشلًا دعنا نفضه الآن (تضع كرسيها جانبًا، وتهبط السلم في هدوء تام وهي تمر أمام كرامبتون).

إلى اللقاء يا والدي.. إلى اللقاء يا والدي..

(تنزل السلالم في عدم مبالاة باردة، والجميع ينظرون إليها، ولا يلحظون رجوع الجرسون من الفندق وهو يحمل معطف كرامبتون وعصا فالنتين وزوجًا من الشيلان وشمسية وبعض كراسي المعسكر التي يضعها على الأريكة).

كرامبتون: (يحدث نفسه ناظرًا إلى جلوريا نظرة ذات تعبيرات شيطانية).

والدي.. والدي.. والدي...

(يضرب المائدة بقبضة يده..).

الجرسون: (يقدم الآن.. إليه المعطف) هذا هو معطفك كما أظن يا سيدي.. (كرامبتون ينظر إليه ويجذبه منه بعنف وغلظة وينزل من الشرفة صوب مقعد الحديقة وهو يصارع المعطف الذي يحمله في غضب. مستر كوماس يتقدم لمساعدته، يتناول قبعته ومظلته من المائدة الحديدية وينزل من الدرجات وفي أثناء ذلك يشكر الجرسون مستر كرامبتون لحمله المعطف بنفسه يقدم المظلة إلى فيليب).

فيليب: أنك عجوز يا أبانا وليم.. ولكنك أعظم الناس تفكيرًا.. لا.. احتفظ بالمظلات وأعطني كراسي المخيم.

(يأخذ الكراسي).

الجرسون: (في تملق) أشكرك يا سيدي.

فيليب: فنش.. عاوني في حمل هذه الكراسي.

(يعطي فنش زوجها منها) اتبعني.

(يهبطان السلم معًا).

فالنتين: (إلى الجرسون) دعني أحمل عنك واحدة من هذه المظلات.

(يطالب أن يتناول مظلة منه).

الجرسون: (في حكمة) أنها مظلة الآنسة يا سيدي.

أشكرك: هل تسمح بحمل هذه المظلة يا سيدي..

(يضع الجرسون الحمل الذي يحمله على الكرسي ويخرج من جيبه الخلفي كتابًا وضع بين أوراقه أحد مناديل السيدات ليكون علامة على الصفحة) أن الآنسة الكبيرة كانت تقرأ هذا الكتاب يا سيدي.. (فالنتين يتناول الكتاب في شغف).

أشكرك يا سيدي.. أنه عن (تحرير المرأة) خضوع النساء في الأصل (يحمل الحمل مرة ثانية..).

أنها مطالعة أثقل من أن تهضمها أنت أو أهضمها على شاطئ البحر.

(يهبط السلم).

فالنتين: (يتقدم مضطربًا إلى كرامبتون).

الآن انظر إلى هنا يا مستر كرامبتون.. هل أنت خجلان من نفسك.

كرامبتون: خجلان من نفسي.. خجلان من ماذا؟

فالنتين: لأنك سلكت سلوكًا غير لائق.. ماذا تعتقد؟ أتظن أبنتك ابتعدت عني لأني أحضرتك إلى هنا؟

كرامبتون: أنني لم أفكر قط فيما كانت تفكر فيه أبنتي.

فالنتين: أنك كنت تفكر في نفسك فقط.. أنك رجل أناني.

كرامبتون: (في حزن).. ماذا أخبرتك عني؟ والد.. والد سرق. منه أبناؤه؟

ترى ماذا تشبه قلوب أبناء هذا الجيل؟

هل لي أن أحضر إلى هنا بعد هذه السنوات الطوال لأرى كيف حال أبنائي، ولأسمع أصواتهم ثم أصبح في عيونهم كزائر من الدهماء حضر لتناول الغداء معهم ويطلقون عليه: مستر كرامبتون؟

مستر كرامبتون.. أي حق يملكونه لمخاطبتي بهذا الأسلوب؟ أنني والدهم فهل هم ينكرون ذلك؟..

أنني إنسان تضطرب نفسه بالعواطف التي تضطرب بها قلوب سائر البشر.

أليست لي حقوق؟ أليست لي مطالب؟ في كل هذه السنوات التي خلت؟..

من كان حولي؟ خدم كتبه. معارف في العمل.. كلهم كانوا يتحدثون إلي باحترام وكانوا يعاملونني في رقة هل كان أحدهم يتحدث إلى بالأسلوب الذي كانت تتحدث به هذه الفتاة؟ هل كان أحد منهم يضحك مني كما كان يضحك هذا الفتى مني طوال الوقت؟

أولادي: ينادونني باسم مستر كرامبتون.. مستر كرامبتون.

فالنتين: تعال تعال.. فهناك بنت لك نادتك بقولها يا والدي..

كرامبتون: نعم قالت لي إلى اللقاء يا والدي إلى اللقاء.

نعم قالت هذا فطعنت مشاعري في الصميم..

فالنتين: (متأثرًا من قوله) والآن انظر يا مستر كرامبتون لو لم تتركها وحيدة لعاملتك معاملة أطيب من ذلك فقد قضيت وقتًا رديئًا أثناء الغداء أكثر منك.

كرامبتون: أنت؟

فالنتين: (في شدة متزايدة) نعم لقد جلست بجوارها غير أني لم أنبس ببنت شفه ولم أستطع أن أفكر في توجيه كلمة طيبة إليها وهي لم تتفضل عليّ بكلمة هي الأخرى..

كرامبتون: حسنًا..

فالنتين: حسنًا.. حسنًا.

(يجذبه بقوة ويتكلم بسرعة أكثر فأكثر).

كرامبتون؟ هل علمت ماذا جرى إلى اليوم؟ أنك لا تعرف هل تظن أني تعودت على خداع مرضاي فأقوم بخداعك؟

كرامبتون: أعتقد لا..

فالنتين: ولتوضيح ذلك أقول لك إني مجنونًا جنونًا مطلقًا. أو لعلني قبل ذلك لم أكن أملك مشاعري أبدًا في الحقيقة.. لقد أصبحت قادرًا على عمل كل شيء، لقد نموت أخيرًا وأصبحت رجلًا.

والفضل يرجع إلى ابنتك التي خلقت مني رجلًا.

كرامبتون: (في ارتياب) هل وقعت في حب أبنتي؟

فالنتين: (كلماته الآن تبدو كتيار جارف).

حب.. أن الحب لا شيء.. إنه شيء أبعد من الحب.. وأسمى من الحب. إنه الحياة، إنه الصدق، إنه القوة إنه الجنة من غير شك.

كرامبتون: (مقاطعًا إياه في احتقار) هذا شيء هراء يا رجل ماذا تملك لتحتفظ بزوجة لك؟ أنت لا تستطيع أن تتزوجها؟

فالنتين: من ذا الذي يريد أن يتزوجها؟ سوف أقبل يديها، سوف أجثو على ركبتي عند قدميها، سوف أعيش من أجلها

وسوف أموت في سبيلها.. وهذا يكفيني.

أنظر إلى كتابها.. أنظر.

(يقبل المنديل الموضوع في داخله).

أنك لو وهبت لي جميع أموالك، ومنعتني من الذهاب إلى الشاطئ للتحدث إليها لخدعتك وذهبت إلى هناك (يندفع في ابتهاج على السلم حيث يثب بين ذراعي الجرسون الذي يقبل من الشاطئ).

(والاثنان ينقذان نفسيهما من السقوط بأن يحتضن كل منهما الآخر من وسطه).

الجرسون: (في رقة) معذرة يا سيدي..

فالنتين: (متأثر من عنفه) أنني الذي أعتذر لك..

الجرسون: عفوًا يا سيدي.. عفوًا يا سيدي هذا شيء طبيعي، كنت كذلك عندما كنت في عمرك.. إن الآنسة أرسلتني في طلب كتابها يا سيدي فهل لي أن أستأذنكم في حمله إليها.؟

فالنتين: بكل سرور.. وخذ هذا مني.. وهو أجر ما يكسبه صاحب المهنة في ستة أسابيع..

(يمنحه قطعة من النقود).

الجرسون: (كأنما كان المبلغ يزيد عما يتوقع) أشكرك يا سيدي.

(فالنتين ينزل من السلم).

أنك رجل فاضل مستقيم يا سيدي..

كرامبتون: (يدمدم وهو يحط من قدر البقشيش).

أنه يدعي أنه يكسب كثيرًا.. وأنا أعلم كم يبلغ أجره في ستة أسابيع. (يعبر الشرفة ويتجه صوب المائدة الحديدية ثم يجلس أمامها).

الجرسون: (في حكمة) حسنًا يا سيدي أنك لا تستطيع أن ترجم بالغيب وتكشف حجب المجهول وهذا هو مبدئي في الحياة يا سيدي، ولك أن تعذرني في اعتناقه..

(ينسى شخصية الفيلسوف ويتقمص شخصية الجرسون مرة ثانية).

لاحظت أنك لم تقرب بيرة "سلتزر" وبيرة (إبرش) بعد الطعام يا سيدي.

(يأخذ القدح من مائدة الغداء ويضعه أمام كرامبتون).

نعم يا سيدي من يدري فهذا هو أبني لم يكن يفكر في أن ينهض ذات يوم ويرتدي ثوبًا حريريًا ولكنه الآن لا يكسب أقل من خمسين جنيهًا، أي درس هذا يا سيدي.؟

كرامبتون: حسنًا وآمل أن يكون شاكرًا للجميل عارفًا بدينه لك، كما يجب أن يعرف الأبن.

الجرسون: لقد عرف كل منا قدر الآخر وأدركنا التفاوت بين مركزينا.

(كرامبتون على وشك أن يشرب).

خذ قطعة من السكر يا سيدي كي تكسب البيرة حلاوة ملحوظة.

هل تسمح لي بوضع هذه القطعة في الكوب.

(يضع قطعة السكر).

ولكن كما قلت له أي فرق بيني وبينه بعد هذا كله؟

فلو حتم على أن أرتدى هذه البدلة لتميزني عن غيري فإنه يرتدي الآن شعرًا اصطناعيًا فوق رأسه وروب رجال المحاماة ليميزه عن غيره ولو كان دخلي مجرد ما يجود به الناس، وهناك من يقول إني لا أملك الحق فيه فإن دخله ما يدفع إليه من مصروفات وهناك من يدعي أنه لا يظفر بها.. وإذا كان يحب المجتمع، وتمكنه مهنته من الاتصال بجميع الطبقات فكذلك تمكنني مهنتي من ذلك.

وإذا كان مما لا يشرف المحامي قليلًا أن يكون أبوه

جرسونًا فأنا أرى أنه ليس من العيب في الجرسون أن يظل جرسونًا وأبنه محامٍ.

أؤكد لك أن بعض الناس يعتبر هذه حرية كبيرة.. هل تريد شيئًا آخر.. يا سيدي.

كرامبتون: (في تواضع مرير).. لا .. أشكرك.

أظن أنه ليس هناك اعتراض على جلوسي هنا.. إني لا أستطيع أن أقلق المائدة: المجاورة على الشاطئ.

الجرسون: (في شعور رقيق) هذا كرم منك يا سيدي.. وأنه لتحية كبيرة وشرف عظيم لنا عندما تشرفنا بالجلوس يا مستر كرامبتون.. هذا كرم منك.. أنك كلما كنت جالسًا كأنك في منزلك زاد سرورنا.

كرامبتون: (سخرية شديدة) منزلي؟

الجرسون: حسنًا يا سيدي.. أنه يمكنك أن تتطلع إلى منزلك من هنا غير أني كنت أقول دائمًا أن الميزة الكبرى للفندق أنه ملاذ للحياة المنزلية.

كرامبتون: أظن أني فقدت هذه الميزة يا سيدي اليوم.

الجرسون: نعم يا سيدي، نعم فقدتها يا سيدي العزيز.. أنه الشيء المجهول لي الذي يحدث دائمًا أليس كذلك؟ (يهز رأسه).

أنت لا تستطيع أن ترجم بالغيب يا سيدي، أنت لا

تدري.. (يدخل في الفندق).

كرامبتون: (تلمع عينا كرامبتون وهو يضع رأسه البائس بين يديه).

المنزل .. المنزل.

(يسمع شخصًا يقترب، يجلس على مقعده في الحال.. أنها جلوريا التي تصعد السلم بمفردها ومعها مظلتها والكتاب في يدها)..

(ينظر كرامبتون باحتقار إليها، والعناد القاسي يرتسم على ثغره وتلمع في نظرته، يتبادل الأثنان النظرات في حنان.. تصل إلى زاوية مقعد الحديقة، وتدير له ظهرها مستندة، على طرفه، وهي تنظر إليه متعجبة من ضعفه وبروده، غير مبالية بما بينهما من صلة النسب ثم يجيبها في دمدمة..).

كرامبتون: حسنًا.

جلوريا: أريد أن أتحدث إليك لحظة..

كرامبتون: (ينظر إليها في ثبات) أحقًا هذا؟ هذا شيء يبعث على الدهشة.. تقابلين أباك بعد ثمانية عشرة عامًا، ثم تريدين أن تتحدثي إليه لحظة من الزمن؟ هذا شيء مؤثر، أليس كذلك؟

جلوريا: يخيل إلى أن هذا الكلام لا ينطوي على معنى ولا

يستحق الذكر.. بماذا كنت تتوقع أن نشعر من أجلك؟ وماذا كنت تتوقع أن نعمل لك؟ وماذا تريد؟ ولم أنت أقل إنسان إلينا بالنسبة إلى سائر الناس؟ أنك من غير شك غير مغرم بنا.. لماذا أنت كذلك.. ؟ ولماذا لا تقابلنا بغير الشجار..!

كرامبتون: (يرتسم على وجهه ظل داكن) هل تحققت من أني والدك؟

جلوريا: من غير شك.

كرامبتون: هل عرفت ما تدينين به لي؟

جلوريا: أي شيء على سبيل المثال؟

كرامبتون: (ناهضًا كأنما يصارع شبحًا رهيبًا) على سبيل المثال.. على سبيل المثال.. الواجب والعاطفة والاحترام والطاعة.

جلوريا: (غير مهتمة باستنادها بغير عناية على المقعد ومجاوبة إياه في سرعة وكبرياء).

أنني لا أطيع شيئًا إلا ما أشعر أنه الحق.. ولا أريد شيئًا غير نبيل، وهذا هو واجبي..

أما بالنسبة إلى العاطفة فليست في مقدوري، وإني غير متأكدة أني أعرف تمامًا معنى العاطفة.

(تنسحب بعدما تشعر بكراهية هذا الموضوع، ثم تجلس على مائدة الغداء بعدما تضع كتابها على المائدة كما تضع مظلتها).

كراميتون: متتبعًا إياها بنظراته) هل أنت تدركين تمامًا ما تقولين؟

جلوريا: (راجعة إليه في سرعة وعنف) أعذرني.. هذا سؤال قاس.. إنني أتحدث إليك في جد، وأتوقع أن تتحدث إليّ بمثل هذه اللهجة نفسها.

(تتناول مقعدًا من المقاعد الموجودة على مائدة الغداء، ثم تجلس عليه متعبة وهي تقول..)

ألا تستطيع أن تناقشني في هذا الموضوع في هدوء وتعقل؟

كرامبتون: هدوء وتعقل؟ إني لا أستطيع، ألا تفهمين هذا؟ إني لا أستطيع.

جلوريا: (مؤكدة) وأنا كذلك لا أستطيع الفهم. ليس عندي عطف على..

كرامبتون: (في عصبية وهو ينكمش على نفسه) قفي.. لا تكملي، لا تقولي شيئًا بعد هذا. أنت لا تعرفين ماذا تفعلين؟ هل تريدين أن تسوقيني إلى الجنون؟

(تقطب جبينها ولا تحتمل هذا الكلام بينما يضيف قائلًا

في استعجال) لا.. أني لست غاضبًا.. حقًا أني لست غاضبًا.. انتظري.. انتظري قليلًا.. وأعطني وقتًا للتفكير..

(يقف لحظة وهو يمسح جبينه ويديه في اضطراب ثم يأخذ الكرسي الأخير من المائدة ويجلس بجوارها محاولًا أن يكون رقيقًا وصبورًا)

الآن.. أظن أني سأقدر.. سوف أحاول..

جلوريا: (في حدة) أنت ترى أن كل شيء يجرى على ما يرام لو تعمدنا أن نتدبر الأمر.

كرامبتون: (في خوف مفاجئ) لا.. لا تظني هذا.. الذي أريده منك هو أن تشعري.. وهذا الشعور يستطيع أن يساعدني.. أنصتي، ولكني.. أولًا نسيت أسمك.. اسم الدلع أنهم لم يحسنوا تسميتك.. ولم يطلقوا عليك اسم "سوفورينا"..

جلوريا: (في دهشة واشمئزاز) سوفورينا.. أن اسمي جلوريا.. ودائمًا أنادى به.

كرامبتون: (تثور ثائرته مرة ثانية) أن أسمك هو سوفورينا يا فتاة.. لقد سميتك بهذا الأسم تيمنًا بعمتك سوفورينا شقيقتي التي أهدت إليك الإنجيل لأول مرة بعدما كتبت عليه أسمك.

جلوريا: إذن فوالدتي أطلقت على أسمًا آخر.

كرامبتون: (في غضب) ليس لها الحق في أن تفعل ذلك، وأنا لم أسمح لها بذلك.

جلوريا: أنك لا تملك الحق في تسميتي باسم شقيقتك ما دمت لا أعرفها.

كرامبتون: أنك تتكلمين عبثًا من القول.. وهناك حدود لا أستطيع أن احتمل بعدها.. هل سمعتني؟

جلوريا: (تنهض محذرة) هل أنت تعتزم الشجار؟

كرامبتون: (خائفًا ومعترفًا) لا.. لا.. أجلسي أجلسي.

(تنظر إليه تاركة إياه في حالة توقف وهو برغم نفسه على التفوه باسمها الممقوت).

أجلسي.. يا جلوريا.

(تلاحظ جلوريا عدم رضاه وهو يضم شفتيه ثم تجلس)

لقد لاحظت كيف أني أريد أن أريك أن والدك يا ابنتي.. ابنتي العزيزة.

(تلاحظ أن تحببه إليها ليس في محله، فتبتسم وتسكن للاستماع إليه قليلًا).

اسمعي الآن.. ما أريد أن أسألك عنه هو هذا، ألا

تذكريني مطلقًا؟ لقد كنت طفلة صغيرة عندما نزعت مني.. غير أنك كنت تميزين أشياء كثيرة ألا تذكرين شخصًا أحببته أو (في خجل) أحببته على الأقل في طريقة صبيانية.. شخصًا كان يبقيك في مكتبه لكي تلعبي بمراكب من الدمي (ينظر في شغف إلى وجهها منتظرًا الجواب ثم يستأنف حديثه في قليل من الأمل وكثير من الإرغام).

هل تذكرين شخصًا كان يأذن لك. بأن تعطي كل شيء ولم ينبس بكلمة لك اللهم إلا ليخبرك بأنك يجب أن تهدني وتسكني؟

هل تذكرين شخصًا يختلف كل الاختلاف عن كل شخص بالنسبة إليك هل تذكرين أباك.؟

جلوريا: (تتحرك) لو وضعت الأشياء أمامي فسوف أتخيلها وأتذكرها من غير شك ولكني في الحقيقة لا أتذكر شيئًا.

كرامبتون: ألم تذكر لك أمك شيئًا عن ...

جلوريا: أنها لم تذكر أسمك قط على لسانها أمامي.

(يتأوه في شعور لا إرادي ثم ينظر في نوع من الاحتقار)

(تستأنف حديثها) اللهم إلا مرة.. ذكرتني بشيء كنت قد نسيته.

كرامبتون: (ينظر إليها في أمل) وما هو ذلك الشيء؟

جلوريا: (في قسوة) السوط الذي اشتريته لتضربني به..

كرامبتون: (يعض على أسنانه) أهي تذكر ذلك ليكون دليلًا ضدي، ولتثيركم علي، وتبعدكم عني؟

متى تستغنون عن هذا الكلام؟ عليها اللعنة. (في زفرة طويلة متألمة).

جلوريا: (ناهضة) أنت البائس (في تأكيد شديد).

أنت البائس.. هل تجرؤ على لعنة أمي؟

كرامبتون: قفي.. وإلا ندمت على ذلك فإني أبوك.

جلوريا: كم أكره هذا الإسم، وكم أحب اسم أمي؟ من الأفضل أن تذهب..

كرامبتون: أنا.. لقد صدمت، وأنت تريدين أن تقتليني أنا؟ (صوته يختنق ويصيح كأنه في نوبة، تذهب إلى السور مسرعة في سعة حيلة لتنادي من على الشاطئ).

مستر فالنتين..

فالنتين: (من الأسفل) نعم..

جلوريا: تعال لحظة واحدة من فضلك.. مستر كرامبتون يريدك.

(تعود إلى المائدة حيث تصب كوبًا من الماء من الدورق)

كرامبتون: (مستعيدًا حديثه) كلا دعيني.. وحيدًا.. لا أريده إنني في حالة وطيدة، أنني لست في حاجة إلى مساعدته ولا إلى مساعدتك.

(ينهض ويشد أوصاله).

كما قلت من الأحسن أن أذهب.

(يرتدي قبعته).

هل هذه هي كلمتك الأخيرة؟

جلوريا: أرجو أن تكون كذلك.

(ينظر إليها في عناد لحظة ثم يطأطئ في حزن كأنما يوافقها على كلامها ثم يذهب إلى الفندق وهي تنظر إليه في ثبات حتى يختفي غير أنها تتحرك لتلتقي بفالنتين الذي يصعد الدرجات).

فالنتين: (يلهث) ماذا حدث (ينظر حوله) أين كرامبتون؟

جلوريا: ذهب.

(يتراءى على وجه فالنتين فرحة مفاجئة، ثم يرتسم الخوف على محياه، ويحاول أن يوقع الشقاق عندما يرى جلوريا بمفردها ويستأنف في غير مبالاة). أظن أنه كان مريضًا.. غير أنه استرجع صحته ولم ينتظرك وأني آسفة على ذلك.

(تذهب إلى كتابها ومظلتها).

فالنتين: لا داعي للأسف. لقد أثار أعصابي بعد لحظة من قدومه. (مدعيًا أنه نسى نفسه).

كيف لهذا الرجل أن تكون له ابنة جميلة مثل هذه؟

جلوريا: (تتراجع لحظة إلى الوراء ثم تجيبه في احتقار متعمد وأدب في نفس الوقت) هذه محاولة لما يطلقون عليه الغزل.. دعني أقول لك في الحال يا دكتور فالنتين أن هذا الغزل يجعل الحديث بيننا سخيفًا. أرجوك أن تدعنا أصدقاء لو أردت أن نكون كذلك بالمعنى المتزن والطريقة المثلى فليست لدى أي نية للزواج.. وإذا لم تكن راضيًا بقبول هذا الوضع فإنه من الخير ألا نوطد صلتنا بعد اليوم!

فالنتين: (في احتراس) أرى ذلك ولكن هل لي أن أسألك سؤالًا واحدًا؟ هل اعتراضك هو اعتراض عام على الزواج أم اعتراض على الزواج مني شخصيًا؟

جلوريا: أنني لم أعرفك حق المعرفة يا دكتور فالنتين حتى أستطيع أن أصدر حكمًا على أهليتك الشخصية؟

(تذهب في عدم مبالاة تامة بعيدًا عنه ثم تجلس ومعها كتابها على المقعد الموجود في الحديقة).

ولا أعتقد أن ظروف الزواج في الوقت الحاضر يمكن أن

تقبلها امرأة تحترم نفسها.

فالنتين: (يغير نغمة صوته في الحال حتى يعبر عن الإخلاص القلبي كأنما قبل شرطها وآمن بعبادتها).

أه.. إذن العلاقة بيننا هي العطف.. أني أوافق على خط مستقيم، أن الظروف حقًا غير مواتية.

(يخلع قبعة ثم يقذفها في مرح على المائدة).

لا.. أن ما أريده هو التخلص من هذا الهراء!

(يجلس بجوارها جلسة طبيعية كأنما لا يفكر).

(في الاعتراض ويتقدم بحماس).

ألا تظنين أنه من الفظيع ألا يعرف رجل امرأة، ولا يفكر أن إلا في هذا النحو من التفكير؟! كأنما ليست هناك مصالح بينهما غير هذه المصالح، وليست هناك موضوعات أو أحاديث غير هذه الموضوعات والأحاديث.. وحتى كأن النساء غير قادرات على تقديم شيء أحسن من هذا؟!

جلوريا: (ملتذة بما تقول) آه.. لقد بدأت تتحدث حديثًا إنسانيًا.. عاقلًا يا مستر فالنتين!

فالنتين: (تلتمع عيناها لنجاح خطته) أليس مما يدعو إلى البهجة لاثنين ذكيين مثلنا في هذه الدنيا المحدودة بالتقاليد أن

يجدا أحدًا يفكر في مثل تفكيرهما؟ أو يجدا أحد بعقل مستنير.. لا يعرف التعصب.

جلوريا: (في شغف) آمل أن التقي بأناس من هذا الطراز في إنجلترا.

فالنتين: (في غموض) يوجد هنا أناس طيبون كثيرون يبلغون حوالي أربعين مليونًا.. غير أنه لا يوجد هنا أناس من الطبقة المتعلمة كهذه التي توجد في ماديرا.

جلوريا: (مركزة كل اهتمامها على الموضوع) أوه! أن كل الناس في ماديرا أغنياء.. ومتعصبون.. أنهم عاطفيون ضعفاء وأنا أكره العاطفة وأمقت الضعف!

فالنتين: وهذا هو السبب الذي يجعلك ملهمة!

جلوريا: (في ضحكة خفيفة) هل أنا ملهمة!

فالنتين: نعم أنك تلهمين القوى؟

جلوريا: بل قل الضعف؛ أنا أعرف ذلك.

فالنتين: نعم أنك تلهمين القوى؟

جلوريا: بل قل الضعف؛ أنا أعرف ذلك.

فالنتين: (في اقتناع) أنت قوية! هل تعلمين أنك غيرت الحياة في عيني هذا الصباح؟ لقد كنت خائر النفس أفكر في الإيجار الذي لم أدفعه.. كنت خائفًا من المستقبل وعندما

حضرت ملكت قلبي.

(ترتسم على جبينها سحابة من الاكتئاب).

(غير أنه يستطرد قائلًا في استعجال).

لقد كان هذا لونًا من الحمق.. ولكنه شيء صادق وواقعي حدث لي.. فسري هو أن دمي..

(يتردد محاولًا أن يعثر على كلمة).

(مناسبة لا تفضح انفعاله).

تأكد.. وعضلاتي نشطت.. وعقلي استثار.. وشجاعتي زادت وهذا شيء غريب..! أليس كذلك؟

لأني رجل غير عاطفي على الإطلاق.

جلوريا: (ناهضة في صعوبة) دعنا نرجع ثانية إلى الشاطئ.

فالنتين: (في حزن ناظرًا إليها) هل تشعرين به كذلك؟

جلوريا: أشعر بماذا؟

فالنتين: الخوف؟

جلوريا: الخوف؟

فالنتين: كأنما هناك شيء يوشك أن يحدث. فقد جاء لي خاطر قبل أن تتكلمي أننا لا بد أن نذهب لنرى ما حدث للآخرين.

جلوريا: (في دهشة) هذا شيء عجيب، شيء عجيب، عندي أنا نفس هذا الشعور.

فالنتين: (في اكتئاب) نعم هذا شيء غريب.

(ناهضًا) حسنًا هل تجرى؟

جلوريا: أنجرى؟ هذا سيكون تصرف أطفال.

(تجلس مرة ثانية فيجلس بجوارها ويرمقها في جو حزين وتبدو متعبة قليلًا وهي تستأنف حديثها).

أنني أعجب ما هو تفسير هذه الأوهام التي تعتادني بين الحين والحين؟

فالنتين: إنني أعجب إنه شعور غريب لا قبل لنا بمقاومته.

جلوريا: (مقترحة على الجملة الأخيرة) لا قبل لنا بمقاومته؟

فالنتين: نعم.. كأنما الطبيعة بعدما تركتنا ترجع إلى أنفسنا ونعمل وفق ما نراه صحيحًا متمشيًا مع العقل طيلة هذه السنين قد رفعت يدها العظيمة لتجذبنا نحن طفليها الصغيرين من رقابنا لتستخدمنا بالرغم من أنفسنا رهن أشارتها لنسلك السبيل الذي تراه..

جلوريا: أليس هذا أكثر وهمًا؟

فالنتين: (في نغمة طائشة) لا أعرف هذا.. ولن أهتم بهذا (ينفجر لائمًا لها) آه يا مس كلاندون، يا مس كلاندون، كيف

استطعت أن تفعلي هذا؟

جلوريا: ماذا فعلت؟

فالنتين: قذفت بهذا السحر على أنني بحق الأمانة أحاول أن أكون عاقلًا وعلميًا في تفكيري وكل شيء تريدينه مني..

ولكنك لا تتصورين ما تركته من أثر في خيالي.

جلوريا: أرجو ألا تكون أحمق وسوقيًا فتستخدم كلمة الحب.

فالنتين: لا.. لا.. لا.. أنه ليس الحب.. أنه أحسن من ذلك، دعيني أطلق عليه كيمياء، وأنت لا تنكرين أن هناك تأثيرًا كيماويًا.. وامتزاجًا كيماويًا، واتحادًا كيماويًا.. لا يمكن للقوى البشرية أن تمنعه حسنًا أنك تجذبيني دون أن أستطيع المقاومة، أنك تجذبيني كيماويًا..

جلوريا: (في احتقار) هذا هراء.

فالنتين: حقًا هذا هراء أيتها الفتاة الحمقاء.

(جلوريا تتراجع في غضب مفاجئ).

أيتها الفتاة الحمقاء.. هذه هي حقيقة علمية على كل حال.. أنت فتاة غريرة، أنثى معجبة بذاتها، وهذه هي شخصيتك؟

(ناهضًا) والآن أظن أنك اكتفيت مني بهذا القدر إلى الأبد.

(يذهب إلى المائدة الحديدية، ويتناول قبعته في هدوء محكم، وهي تجلس كأنها فتاة جامعية جلست لتلقط لها صورة).

جلوريا: أن هذا يدل على أنك لم تفهم شخصيتي الحقيقية إلا قليلًا.. فأنا لم توجه إلى إهانة قبل ذلك أبدًا..

(يسكت ثم يضع قبعته مرة ثانية).

أنني مستعدة دائمًا لقبول نقائصي يا مستر فالنتين من أصدقائي حتى ولو كانوا بعيدين عن القلب جدًا كما أنت اليوم، ولكن هناك شيئًا واحدًا تصفى به وأنا منه براء، وهو أني فتاة غريرة.

(تغلق شفتيها في نظام ثم تنظر إليه في ثبات متحدية أياه، ثم تجلس على مقعدها في هدوء بال أكثر مما كانت دائمًا).

فالنتين: (يرجع نهاية مقعد الحديثة حتى يواجهها في ثقة).

نعم.. أنت كذلك.. أن عقلي يخبرني بذلك، وتجربتي تخربني بذلك أيضًا..

جلوريًا: أعذرني إذا قلت لك أن تجربتك وعقلك ليسا معصومين من الخطأ وعلى الأقل أني أعتقد ذلك.

فالنتين: يجب أن أصدقهما اللهم إلا إذا كنت تريدين أن تصدقي عيني وقلبي، وغريزتي.. وحالي وهم جميعًا يخبرونني بأفظع

الأكاذيب عنك..

جلوريا: (الهدوء يبدأ في الفتور) أكاذيب؟

فالنتين: (في عناد) أجل أكاذيب..

(يجلس مرة ثانية بجوارها)

هل تتوقعين مني أن أصدق أنك أجمل امرأة في العالم؟

جلوريا: هذا شيء موجب للسخرية، ثم شيء شخصي بعد ذلك

فالنتين: حقًا أنه شيء موجب للسخرية.. ولكنه الشيء الذي تخبرني به عيناي (جلوريا تعمل حركة احتجاج في احتقار).

أنا لا أتملقك.. وأقول لك أني لا أصدق ذلك..

(تخجل لأنها تجد هذا لا يرضيها كذلك).

هل تظنين أنك لو لويت وجهك عني في احتقار فأني سوف أبكي لك هنا كالطفل؟

جلوريا: (تبدأ في الشعور بأنها يجب أن تتكلم باحتقار وترمي إلى هدف في كلامها حتى يكون صوتها هادئًا)

ولماذا تفعل ذلك؟ أرجوك أن تحدثني.

فالنتين: من غير شك أني لن أفعل هذا.. فأني لست معتوهًا إلى هذا الحد؟

مع أن قلبي يدعوني إلى ذلك، فلبي الأحمق.. ولكني سوف أناقش قلبي وأسلمه إلى العقل. ولو أحببتك ألف مرة فأني سوف أرغم نفسي على الرجوع إلى الصواب عندما انظر إلى وجهك.. وبعد ذلك من السهل أن أكون رقيق الإحساس. فالحقائق هي الحقائق. ما هذا المكان؟

أنه ليس السماء، أنه فندق ماربن أوتيل.. ما الوقت؟

أنه ليس الخلود أنه حوالي الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر. من أنا؟ طبيب أسنان.. طبيب أسنان بخمسة شلنات..

جلوريا: وأنا فتاة غريرة؟

فالنتين: (في عاطفة) لا.. لا.. لا.. لا أستطيع أن اطيق هذا، لقد كان عندي وهم، وهم بالنسبة إليك أني أحبك..

(يعود إليها ولا يستطيع أن يتحكم في الدافع الذي يدفعه إلى لمسها وتنهض هي وتنظر إليه، بينما ينهض في ضجر، ويتراجع خطوة إلى الوراء..)

أي أحمق أنا؟ إنني معتوه، إنك لا تفهمين أنني كنت أتحدث إلى صخور الشاطئ (يتراجع يائسًا).

جلوريا: (يؤنبها ضميرها قليلًا بعد أن تأكدت من انسحابه)

أني آسفة.. أنني لست أقصد أن أكون قاسية يا دكتور فالنتين.. ولكن ماذا أقول؟

فالنتين: (عائدًا إليها في طيش يتحول إلى احترام)

تستطيعين أن تقولي لا شيء يا مس كلاندون إني اعتذر لك.. أنها كانت غلطتي.. أو كان السبب فيها سوء بختي..

وأنت ترين أن ما حدث كان يرجع إلى اختيار مدى حبك لي.

(تهم أن تتكلم ولكنه يوقفها مقللًا من قيمة كلامها)

آه.. أنني أعلم أنك يجب ألا تصرحي لي عمًا إذا كنت تحبينني أم لا؟ ولكن

جلوريا: (متمسكة بمبادئها) يجب ألا.. لماذا؟ أنني امرأة حرة.. لماذا لا أعبر لك؟

فالنتين: (مدافعًا في فزع ومتراجعًا) لا.. أنني خائف أن أسمع ذلك.

جلوريا: (لم تعد محتقرة له) لا داعي للخوف أنني أظن أنك رجل عاطفي ولكنك أحمق قليلًا.. غير أني أحبك.. (يقع على أقرب كرسي كأنما سحق من حديثها)

فالنتين: إذن.. فكل شيء قد انتهى. (يرتسم اليأس على وجهه)

جلوريا: (حائرة وهي تقترب منه) ولكن لماذا؟

فالنتين: لأن الحب لا يكفي، والآن أنا لا أعرف هل أحبك أم لا؟

جلوريا: (ناظرة إليه في احتقار غريب) أني آسفة..

فالنتين: (في ألم من العاطفة الجامحة) لا تظهري الأسف، أن صوتك يمزق قلبي أربًا أربًا.. دعيني وحيدًا يا جلوريا.. لقد غصت إلى أعماقي كي تحركي مشاعري وتسببي لي الفناء.. ولكني سوف أكافح وأخبرك نتيجة الكفاح.

جلوريا: (منهارة فجأة) أوه.. قف لا تخبرني بشيء عما تشعر به فإني لا أستطيع أن احتمل ذلك.

فالنتين: (ينهض في انتصار ويصبح صوته المتألم الآن صلبًا رنانًا طروبًا) لقد حانت أخيرًا ساعة الشجاعة.

(يمسك يدها بينما تنظر إليه في فزع)

حانت ساعة شجاعتنا..

(يجذبها إليه ويقبلها بقوة عنيفة ويضحك كالأطفال).

والآن.. لقد فعلتها يا جلوريا.. لقد انتهى كل شيء وأحب كل منا الآخر (لا تملك إلا أن تلهث أمامه).

ولكن أي أفعى كنت فيما مضى.. ولا أزال حتى الآن

خائفًا منك خوفًا شديدًا..

فيليب: (صوت من الشاطئ) دكتور فالنتين..

فالنتين: إلى اللقاء أصفحي عني.. سامحيني

(يقبل يديها في استعجال ويعدو صوب السلم حيث يقابل مسز كلاندون صاعدة بينما تظل جلوريا ناظرة إليه وهي في حيرة).

مسز كلاندون: الأولاد يطلبونك يا دكتر فالنتين.. (تنظر حولها في شغف)

هل ذهب؟

فالنتين: في حيرة.. هيه (متذكرًا) مستر كرامبتون ذهب منذ فترة طويلة يا مسز كلاندون..

(يعدو في ابتهاج على درجات السلم)

جلوريا: (وهي غارقة فوق الأريكة) أمي..

مسز كلاندون: (مسرعة إليها فاتحة ذراعيها) ماذا يا عزيزتي؟

جلوريا: (تلومها من أعماق قلبها) لماذا لم تعلميني جيدًا؟

مسز كلاندون: (مندهشة) ابنتي.. لقد فعلت أقصى ما أستطيع.

جلوريا: لقد علمتني لا شيء.. لا شيء.

مسز كلاندون: ماذا حدث لك؟ ماذا حدث لك؟

جلوريا: (في تعبير ظاهر يدل على الخجل).

لا شيء.. سوى الخجل.. الخجل.. الخجل..

(تغطـي وجههـا بيـديها مـن فـرط خجلهـا وتبتعـد عـن والدتها)

ستار

الفصل الثالث

يرفع الستار على منظر حجرة جلوس أسرة كلاندون، وهي حجرة فخمة في الدور الأرضي، ولها نافذة على الطراز الفرنسي تطل على الحديقة، وتوجد في وسط الغرفة مائدة متينة محاطة ببعض الكراسي، ومكسوة بكساء فاخر من الحرير المارون وعرض عليها دفتر القاصدين إلى الفندق، ودليل مواعيد القطارات.

ولو دخل زائر من النافذة التي تشبه الباب واتجه صوب المائدة الرئيسية فيكون موقد التدفئة الثابت في الحائط عن يساره، ومنضدة للكتابة ممتدة على الحائط عن يمينه وتلي باب الغرفة الذي ينحدر إلى أسفل، فلو كان ذا ذوق فإنه سوف يعجب بالجدران المزخرفة الألوان وتميل إلى اللون البرقوقي واللاكيه البرونزي. وتوجد بعض المقاعد ذات الكرانيش والدعائم الزخرفية في زوايا الغرفة، وتوضع أصص للزهر فوق عمود من الرخام المرمري المجزع ويقوم هذا العمود على قاعدة من الخشب الأسود اللامع. ويوجد عمودان من هذا الطراز على جانبي النافذة. أما الدولاب المزخرف فيلي أصص الزهر بالقرب من مكان المدفئة، والقسم الأوسط من الدولاب ركب عليه باب ويوجد في زواياه ألواح معرجة من الزجاج لتقي الرفوف المصنوعة من الخزف الأبيض والأزرق والذهبي من السقوط.

أما مائدة الشاي المصنوعة من الخيزران فتوجد في الجهة المماثلة في الجانب الآخر، وقد طويت رفوفها الجانبية، ويوجد متكأ عثماني "تركي" كما يوجد مقعدان من نفس هذا الطراز الوثير فوق بساط المدفئة. ويوجد حول الشباط عمودان كبيران من النحاس الأصفر يحملان ستارة من الحرير

المارون ذات حروف خضراء اللون توحي بالوقار والغرفة ككل مؤثثة في صورة تغري الساكنين من الطبقة الوسطى ذوي الرقة في الحساسية كما تستحق إيجارًا قدره جنيه واحد في اليوم.

وتجلس مسز كلاندون على مائدة الكتابة بينما الساعة الموضوعة أعلى رف المدفئة تدق الخامسة في رنة سقيمة كأنما لا يتحمل ناقوسها هذا القبر الرخامي الأسود الذي يحيطه من إطار الساعة..

مسز كلاندون: الخامسة..! أظن أننا لا يجب ألا ننتظر الأولاد أكثر من ذلك فربما تناولوا العشاء في مكان ما..

جلوريا: (في تعب).. هل أدق الجرس للجرسون؟

مسز كلاندون: دقي الجرس يا عزيزتي.

(جلوريا تذهب إلى المدفأة ثم تضغط على الجرس).

لقد انتهيت من تصحيح هذه التجارب أخيرًا والحمد لله.

جلوريا: (تتحرك في الغرفة حتى تصل خلف مقعد أمها).

مسز كلاندون: تجارب الطبعة الأخيرة من كتابي "نساء القرن العشرين".

جلوريا: (في ابتسامة مريرة) هناك فصل ناقص في هذا الكتاب.

مسز كلاندون: (تبدأ في تقليب التجارب)، هناك فصل ناقص من

غير شك، لا..!!

جلوريا: أنـني أقصـد فصـلًا لم يكتـب بعـد، وربمـا كتبتـه لـك عندما أعرف نهايته.

(تعود ثانية إلى النافذة)

مسز كلاندون: جلوريا: هذه ألغاز جديدة:

جلوريا: لا.. إنها نفس اللغز القديم.

مسز كلاندون: (حـائرة ومتعبـة قلـيلًا بعـد أن نظـرت إليهـا قلـيلًا) عزيزتي:

جلوريا: (عائدة) نعم

مسز كلاندون: أنت تعرفين أنني لم أوجه إليك أسئلة أبدًا!

جلوريا: (راكعة بجوار كرسيها) أعلم هذا.. أعلم هذا.

(تمد يدها إلى أمها ثم تضعها في حنان).

مسز كلاندون: (تبتسم في رقة وهي متضايقة) عزيزتي أنك أصبحت عاطفية جدًا.

جلوريا: (متراجعة).. لا.. لا لا تقولي هذا.. أوه!

(تـنهض وتبتعـد عـن أمهـا في صـورة تبـين كـأن قلبهـا يتمزق)

مسز كلاندون: (في رقة) عزيزتي! ماذا جرى؟ ماذا؟

(يدخل الجرسون وهو يحمل صينية الشاي).

الجرسون: (مهدئًا الموقف) هل هذا هو ما ضربت الجرس من أجله؟

مسز كلاندون: نعم أشكرك.. أشكرك!

(تجذب الكرسي مرة ثانية من حول مائدة الكتابة، وتجلس عليه بينما تذهب جلوريا صوب المدفأة وتجلس هناك قابعة وهي تحاول أن تخفي وجهها..).

الجرسون: (وهو يضع الصينية فوق المائدة الرئيسية),

أظن أنك تتطلبين ذلك يا سيدتي! فإني أعرف كم تكون الأعصاب مجهدة لو لم يتناول الإنسان كوبًا من الشاي.

(يحضر المائدة حيث يضعها أمام مسز كلاندون وهو يتحدث إليها).

لقد حضرت الفتاة مع أخيها الشاب لحظة يا سيدتي! وكانا يركبان مركبًا، وما أحلى نزهة كهذه في العصر، إنها تدخل البهجة على النفس، وتنشط الجسم.

(يأخذ الصينية من فوق المائدة الرئيسية ثم يضعها على مائدة الشاي).

اعتذر مستر كوماس عن الحضور لتناول الشاي.. يا

سيدتي لأنه ذهب يستدعى مستر كرامبتون!

(يتناول مقعدين ويضع أحدهما إلى جانب مائدة الشاي والأخرى في الجانب المواجه).

جلوريا: (تنظر حولها في خوف) والجنتلمان الآخر؟

الجرسون: (مؤكدًا كلامه ومتذكرًا مقطع أغنية (كنت هائمًا التي كان يغنيها عندما كان طفلًا).

آه يا آنستي! إنه سوف يحضر. سوف يحضر. لقد كان يجدف في المركب ثم ذهب إلى الصيدلية ليستحضر دواء للتسلخ، ولكنه سوف يحضره مباشرة.. مباشرة يا آنسة..!

(جلوريا في توقع للشر تنهض وتذهب صوب الباب)

مسز كلاندون: (نصف قائمة) جلو..

(جلوريا تذهب بينما تنظر مسز كلاندون في اضطراب إلى الجرسون الذي لم يحرك ساكنًا).

الجرسون: (منتعشًا) هل تريدين شيئًا آخر يا سيدتي.

مسز كلاندون: لا شيء.. أشكرك.. أشكرك.

الجرسون: العفو يا سيدتي، العفو

(بينما هو ينسحب يتقدم فيليب ودوللي وهما

مبتهجان، يفتح الجرسون الباب لهما ويظل ممسكًا بالباب، ثم يغلقه، ويختفي).

دوللي: (في نهم) أوه أعطني قليلًا من الشاي (مسز كلاندون تسكب قليلًا من الشاي لدوللي).. كنا نركب مركبًا، فالنتين سوف يحضر حالًا!

فيليب: أنه لم يتعود الملاحة، أين جلوريا؟

مسز كلاندون: (في لهفة وهي تسكب الشاي) فيل.. هل هناك شيء متعلق بجلوريا؟

(فيليب وجلوريا ينظر كل منهما للآخر ثم يضحكون).

ما هو ذلك الشيء؟!

فيليب: (جالسًا عن يسارها) روميو!

دوللي: (جالسة عن يمينها) جوليت!

فيليب: (متناولًا قدح الشاي من مسز كلاندون) نعم يا والدتي العزيزة إنها القصة القديمة.. القديمة جدًا! دوللي لا تأخذي كل اللبن – (فيليب يتناول أبريق اللبن منها في مهارة).

نعم.. في الربيع..!

دوللي: أحلام الشباب!

فيليب: أشكرك..

(إلى مسز كلاندون التي قدمت له قطعة من البسكويت). أفكار الحب.. إنها تحدث كذلك في الخريف، والشاب في هذه الحالة هو.

دوللي: فالنتين.

فيليب: وامتدت أحلامه نحو جلوريا إلى درجة أنه ..

دوللي: قبلها!

فيليب: في شرفة الفندق!

دوللي: (مصححة كلامه) في شفتيها أمام الناس.

مسز كلاندون: (غير مصدقة) فيل.. دوللي! هل أنتما تنكتان؟

(يحركان رأسيهما نفيًا)

هل أذنت له جلوريا بذلك؟!

فيليب: لقد انتظرنا لنراه مرميًا على الأرض بومضة من وميض احتقارها ولكن ..

دوللي: لكنها لم تفعل..!

فيليب: ويخيل إلى أنها كانت ترغب في ذلك.

دوللي: كما تستطيع أن تحكم عليها..

(موقفة فيليب الذي يهم بتفريغ فنجان آخر من الشاي له) لقد وعدتني بإعطاء فجانين!

مسز كلاندون: (متعبة كثيرًا) أولادي.. يجب ألا تبقوا هنا عندما يحضر دكتور فالنتين.. يجب أن أحكم بحزم!

فيليب: حتى تسأليه عن أغراضه. فأي هتك لمبادئ القرن العشرين قد قام به.

دوللي: هذا صحيح جدًا يا والدتي! أحضري له الكتاب، وطبقي مبادئه!

فيليب: أش.. إنه حضر..!

فالنتين: (وهو يدخل) أني آسف لتأخري يا مسز كلاندون.. (تقدم له أناء الشاي).

لا.. لا أشكرك. فإني لا أتناول الشاي – لا شك أن دوللي وفيليب قد شرحا لك ما حدث.

فيليب: (ناهضًا في الحال) نعم يا فالنتين لقد شرحنا ما حدث.

دوللي: (ناهضة باهتمام) شرحنا كل شيء تمامًا..!

فيليب: أنه واجب علينا (في حدة) تعالي يا دوللي.

(يمد لدوللي ذراعه فتناولها، ثم ينظران إلى فالنتين في حزن، ويخرجان وقد وضع كل منهما ذراعه في ذراع الآخر وفالنتين ينظر إليهما).

مسز كلاندون: (ناهضة وقد حركت مائدة الشاي)

هل لك أن تجلس يا دكتور فالنتين فإني أريد أن أتحدث إليك قليلًا.. لو سمحت بذلك؟

(فالنتين يذهب رويدًا إلى المقعد التركي وضميره يتوقع شرًا في الربع ساعة القادمة بينما تجلس مسز كلاندون فوق المقعد الذي كان يجلس عليه فيليب في كبرياء ثم يجلس دكتور فالنتين).

يجب أن أسألك أولًا أن تعيرني اهتمامك فإني سوف أتحدث إليك في موضوع لا أعلم عنه إلا القليل، وربما لا أعلم شيئًا ألا وهو موضوع الحب.. الحب؟!

نعم! أنه الحب.. يجب ألا يكون هذا الكلام نذيرًا لك فإني شخصيًا لست أحبك!

فالنتين: (كالغريق) في الواقع (يسترجع نفسه) في الواقع. أني أكون فخورًا بذلك.

مسز كلاندون: أشكرك يا دكتور فالنتين! ولكني متألمة لكي أبدأ مثل هذا الموضوع.

فالنتين: تبتدئين! ألم تحبي أبدًا؟!

مسز كلاندون: أبدًا.. وحالتي عادية جدًا.. يا دكتور فالنتين لقد تزوجت قبل أن أبلغ السن التي أدرك فيها ما أعمل، وكما ترى كانت النتيجة فشلًا مريرًا لي، ولزوجي. ولهذا تراني، مع أني امرأة متزوجة، لا أعرف طعم الحب.. ولم أقع في حبائل الحب في يوم من الأيام.. وأقول لك بصراحة يا دكتور فالنتين أن ما وجدته من الحب عند الآخرين لا يدعوني إلى الشعور بأن شيئًا ينقصني في حياتي..!

(فالنتين ينظر مرتابًا إليها وهو لا يتكلم بينما يتغير لونها قليلًا وهي تتكلم في غضب مكتوم)، ألا تصدقني.

فالنتين: (مرتبكًا لأنها استطاعت أن تقرأ أفكاره).. لماذا.. لا يا سيدتي؟.. لماذا يا سيدتي!!؟..

مسز كلاندون: دعني أقول لك يا دكتور فالنتين أن حياة كرسها صاحبها من أجل الإنسانية تتطلب مشاعر وعواطف تسمو على أوهام ونوازع القصص الغرامية التي أظن أنك لا تقصدها.. (يعرف فالنتين أنها احتقرته بهذا الكلام فيهز رأسه في حزن مجيبًا بالنفي).

حسنًا..! ولكني في الواقع لن أجني شيئًا من المناقشة

معك في هذا الموضوع الذي يبدو لي أنك خبير به..!

فالنتين: (في قلق) ماذا تقصدين بهذا الكلام يا مسز كلاندون؟

مسز كلاندون: أظن أنك تعرف ذلك.

فالنتين: جلوريا؟

مسز كلاندون: نعم جلوريا..!

فالنتين: (خاضعًا) حسنًا يا سيدتي أني أحب جلوريا.

أنا أعرف ماذا تنوين أن تقولي.. ليس لدي مال!

مسز كلاندون: أنا لا أهتم بالمال يا دكتور فالنتين.

فالنتين: إذن فأنت تختلفين عن كل الأمهات اللائي التقيت بهن..!

مسز كلاندون: الآن.. أنت قد وصلت إلى النقطة الحساسة..! أنت تعرف هذا من زمن..!

(يهم أن يفتح فمه للكلام ولكنها تدعوه إلى السكوت بالغضب في وجهه).

هل تظن – مع فهمي القليل لهذه الموضوعات– إني لا أملك قدرًا كافيًا من الإحساس لأدرك أن الرجل الذي يسلك سلوكك في لقاء واحد مع فتاة كأبنتي

قلما يكون مبتدئًا في هذا الميدان!

فالنتين: أنا أؤكد لك ذلك.

مسز كلاندون: (موقفه إياه) أنا لا ألومك يا دكتور فالنتين فإن من واجب جلوريا أن تحافظ على نفسها.. وأنت لك الحق في تسلية نفسك كما تحب.. ولكن.

فالنتين: (محتجًا) تسلية نفسي؟ أوه يا مسز كلاندون.

مسز كلاندون: (في صلابة) بشرفك يا دكتور فالنتين هل أنت جاد؟!

فالنتين: (في يأس) بشرفي أنا جاد فيما أقول! (تنظر إليه متفرسة ثم يتحدث في سخرية، ترفع من روحه المعنوية) فقط.. كنت دائمًا جادًا.. وأنت الآن ترين حالي واضحًا!

مسز كلاندون: (صارمة) هذا ما توقعته يا دكتور فالنتين! إنك إذن أحد هؤلاء الذين يعبثون بمشاعر النساء؟

فالنتين: حسنًا..! ولماذا لا.. ما دامت قضية الإنسانية هي الشيء الوحيد الذي يستحق الجد.

وعلى أية حالة فإني فهمت..

(ينهض ويتناول قبعته في أدب متكلف) أنت لا تريدين أن استأنف زياراتي لكم..

مسز كلاندون: لا.. فإني امرأة عاقلة وأعتقد أن فرصة جلوريا الطيبة للهروب منك هي أن تتعرف عليك جيدًا.

فالنتين: (لم يخفه الكلام).. لا.. لا تقولي هذا يا مسز كلاندون.. فأنت لا تفكرين في هذا في الواقع، أليس كذلك؟

مسز كلاندون: أن عندي يا دكتور فالنتين ثقة في تجارب جلوريا العقلية منذ أن كانت طفلة!

فالنتين: (زال دهشه) أوه! هذا صحيح..! صحيح! حقًا.

(يجلس مرة ثانية ويرمي قبعته في صورة تدل على أنه لم يعد هناك شيء يخفيه).

مسز كلاندون: (مغتاظة من تأكيده)، ماذا تعني؟!

فالنتين: (عائدًا في ثقة إليها) تعالي.. تعالي يا مسز كلاندون هل لي أن أعلمك شيئًا؟

مسز كلاندون: هل للمدفعية علاقة بابنتي جلوريا؟

فالنتين: علاقة كبيرة.. ولتفسير ذلك أنه خلال هذا القرن بطوله يا عزيزتي مسز كلاندون أصبح تقدم المدفعية موضوع الصراع بين صانعي المدافع والأسلحة فأنت تبنين سفنًا لا تؤثر فيها قنابل المدفع المعروف، فيخترع شخص آخر مدفعًا من طراز آخر أحسن من

الأول لإغراق سفينتك، فتبنين أنت سفينًا أثقل من الأولى لا يؤثر فيها المدفع، فيأتي شخص آخر يخترع مدفعًا أخطر من المدفع الأول حتى يغرق سفينتك مرة ثانية.. وهكذا يكون صراع الجنس!

مسز كلاندون: صراع الجنس؟

فالنتين: نعم! ألم تسمعي عن صراع الجنس؟ هل سمعت؟ آه ولكني نسيت.. لقد كنت في ماديرا وظهر هذا التعبير منذ أن كنت هناك.. هل أشرحه لك؟

مسز كلاندون: (في احتقار).. لا.

فالنتين: من غير شك لا.. والذي حدث هو صراع الجنس بالفعل، فالفتاة من الطراز القديم نتلقى تعليمًا من طراز قديم حتى تستطيع أن تحمي نفسها من حيل الرجال فتكون النتيجة كما تعلمين أن رجلًا من الطراز القديم يدور حولها، والأول من الطراز القديم تصمم على حماية ابنتها حقًا. وإيجاد سلاح جديد تقاوم به رجل الطراز القديم وتهيئ لابنتها تعليمًا عمليًا هذه هي خطتك فكأن هذا حجر عثرة في سبيل رجل الطراز القديم إذ رأي أن هذا الأمر غير متكافئ فحاول أن يقنعها بأن هذا لا يليق بحشمة النساء، ولكن هذا لم يجد شيئًا، فكان لابد أنه يرضخ

للطريقة العتيقة في الهجوم، الطريقة التي تعرفينها. وهي أن يجثو على ركبتيه ويقسم أن يحب بشرفه، وأن يطيع وما إلى ذلك..

مسز كلاندون: اسمح لي يا سيدي! هذا ما كانت المرأة تقسم عليه

فالنتين: هل كانت كذلك؟ ربما كنت أنت على حق، نعم هذا الذي حدث فعلًا! فما الذي فعله الرجل؟ فعل تمامًا كما تفعل المدفعية.. ذهب أكثر من المرأة.. لتثقيف نفسه علميًا، وبدأ في هذا الدور يضربها كما كان يفعل في العصور الخالية، لقد تعلمت كيف أناظر حقوق النساء قبل أن أتعدى الثالثة والعشرين لقد كانت موجودة منذ أمد طويل وأنت ترين أن وسائلي الآن حديثة!

مسز كلاندون: (في استنكاف تام) من غير شك!

فالنتين: ولكن لهذا السبب نفسه يوجد هناك نوع واحد من الفتيات لا يمكن أن تجدي معه وسيلة!

مسز كلاندون: أي نوع من الفتيات؟!؛ أرجوك أن تخبرني.

فالنتين: فتاة الطراز القديم تمامًا.. فلو أنك ربيت جلوريا بالطريقة القديمة لأنفقت ثمانية عشر شهرًا لأصل إلى النقطة التي وصلت إليها عصر اليوم في ثمانية عشرة ثانية..! نعم يا مسز كلاندون..! إن التعليم العالي

للنساء هو الذي أسلم جلوريا بين يدي..!

وأنت التي علمتها الإيمان بالتعليم العالي للنساء!

مسز كلاندون: (ناهضة) دكتور فالنتين! أنك ماهر!

فالنتين: (ناهضًا كذلك) أوه! مسز كلاندون!

مسز كلاندون: وأنت قد علمتني لا شيء.. إلى اللقاء!!

فالنتين: (في فزع) إلى اللقاء! هل لي أن أراها قبل أن أرحل؟

مسز كلاندون: أني خائفة ألا ترجع قبل أن تذهب يا دكتور فالنتين فإنها تركت الحجرة حتى تتجنبك!

فالنتين: (في تفكير) هذه أمارة طيبة! .. إلى اللقاء!

(ينحني ويذهب إلى الباب متظاهرًا بالرضا).

مسز كلاندون: (منذرة) لماذا تظن أنها أمارة طيبة؟!

فالنتين: (متراجعًا بجوار الباب) لأني خائف جدًا منها.. ويظهر أنها خائفة مني كذلك إلى حد الموت!

(يهم ليذهب ولكنه يفاجأ بجلوريا وجهًا لوجه وهي توشك أن تدخل تنظر إليه في رسوخ وهو ينظر إليها خائرًا، ثم يستدير صوب مسز كلاندون وصوب جلوريا مرة أخرى وهو في حيرة، وجهها أبيض وهي تمسك نفسها بصعوبة).

هل صحيح ما أخبرتني دوللي به؟

مسز كلاندون: ماذا أخبرتك يا عزيزتي؟!

جلوريا: أنك كنت تتحدثين بشأني إلى هذا الجنتلمان!

فالنتين: (يتمتم) هذا الجنتلمان أوه!

مسز كلاندون: (في حدة) دكتور فالنتين هل لك أن تسكت لحظة من الوقت؟

(ينظر في شغف إليهما وبحركة يائسة يذهب إلى المتكأ العثماني أو التركي ويقذف نفسه عليه)

جلوريا: (تواجه أمها في عتاب عميق) أمي.. ! أي حق لك في أن تفعلي هذا؟!

مسز كلاندون: أظن أنني لم أفعل شيئًا ليس لي الحق في فعله يا جلوريا؟!

فالنتين: (مؤكدًا في فضول) لا شيء.. لا شيء.. لا شيء على الإطلاق.

(تنظر جلوريا ومسز كلاندون إليه نظرات ساحقة).

أئذني لي بذلك..!

(يجلس على المقعد العثماني دون أن يعبأ بالفضيحة).

جلوريا: أظن أنه ليس لأحد الحق في التفكير في المسائل التي

تخصني (تنهض لتختفي من أمامها ولتواري الصراع بينها وبين عاطفتها).

مسز كلاندون: عزيزتي! لو كنت قد جرحت كبريائك..

جلوريا: (راجعة إليها لحظة) كبريائي! .. كبريائي.. لقد ذهبت.. لقد تعلمت الآن أني لا أملك قوة أفخر بها.. (ترجع حيث كانت مرة ثانية).

ولكن المرأة لو لم تحم نفسها لا يستطيع أحد أن يحميها.. لا يملك أحد الحق في المحاولة حتى أمها. إنني أعلم أني فقدت ثقتك كما فقدت احترام هذا الرجل..! (تتوقف حتى تستعيد نغمة صوتها).

فالنتين: هذا الرجل؟!

مسز كلاندون: أرجوك أن تسكت يا سيدي!

جلوريا: (مستأنفة الحديث) ولكن عندي الحق على الأقل أن أترك وحيدة في محنتي! أنني واحدة من هذه المخلوقات الضعيفة التي ولدت لكي تخضع للرجل الأول الذي تقع عليه عيناها.. ولا بد أن أخلص لمصيري كما أعتقد..!

فخلصيني على الأقل من الذل الماثل في السؤال لمحاولة إنقاذي..!

(تجلس في نهاية المائدة واضعة منديلًا على عينيها).

فالنتين: (وهو يقفز) أنظري هنا..!

مسز كلاندون: (في قسوة) دكتور فال..

فالنتين: (في طيش) لا.. سوف أتكلم.. لقد سكت ما يقرب من ثلاثين ثانية.

(يذهب متعمدًا إلى جلوريا).

مس كلاندون..!

جلوريا: (في مرارة) لا.. لا تقل مس كلاندون.. هل رأيت أن اسم مس كلاندون أعظم أمانًا لك من أن تقول جلوريا؟!

فالنتين: ..لا لن أفعل ذلك. فإنك سوف تلقين على كاهلي هذا العبء ثم تتهمينني بعدم الاحترام وإني أصرح لك أنه من الكذب المحطم للقلب تصور أني لا أحترمك. حقًا.. أني لم أكن احترم كبريائك القديمة.. لأنها لم تكن شيئًا سوى الجبن، ولم أحترم ذكاءك لأن عندي ذكاء يفوقك.. وهو ذكاء الرجال.. ولكن عندما حركت أعماق قلبي.. وجاءت لحظتي الحاسمة، نفثت في روحي الشجاعة.. آه.. وعندئذ.. عندئذ..

جلوريا: أظن عندئذ احترمتني..!!

فالنتين: لا.. لا.. لم أفعل ذلك.. فإني قد عبدتك (تنهض مسرعة وتدير له ظهرها)

وأنك لن تستطيعي أن تنزعي هذه اللحظة مني!

والآن فإني لا أعبأ بما حدث..!

(يعود إلى المقعد العثماني وهو يقوم بحركة تدل على الابتهاج ولا يوجهها لأحد من الحاضرين).

أني عالم.. حق العلم أني أتكلم هراء من القول.. ولكني لا أستطيع غير ذلك.

(إلى مسز كلاندون).

أني أحب جلوريا.. وهناك نهاية لهذا الحب!

مسز كلاندون: (مؤكدة) دكتور فالنتين..! أنك رجل خطير جدًا.

(جلوريا تتجول في الغرفة قليلًا ثم تقف خافضة الرأس عن يمين أمها بينما يكون فالنتين في الجهة المواجهة ثم تستأنف مسز كلاندون الحديث في احتقار شديد).

اسألي هذا الرجل.. الذي ألهمته ونفثت فيه الشجاعة أي عدد من النساء بعثن فيه الإلهام من قبل؟

(جلوريا تنظر فجأة وهي غاضبة مدهوشة).

وكم عدد المرات التي ألقى فيها حبائله التي أوقعك فيها؟ وكيف استخدم معهن نفس الحديث الذي استخدمه معك؟ وكم تجربة مر بها حتى خلقت منه شيطان الجنس في صورة تامة؟

فالنتين: هذا ليس عدلًا.. إنك تطعنين في ثقتي يا مسز كلاندون.

مسز كلاندون: أسأليه يا جلوريا!

جلوريا: (في غضب وهي تتقدم إليه وقد قبضت يديها في وجهه). هل هذا صحيح؟

فالنتين: لا تغضبي!

جلوريا: (مقاطعة إياه غير عافية عنه) هل هذا صحيح؟ هل قلت هذا من قبل؟ وهل شعرت بهذا من قبل حيال امرأة أخرى؟!!

فالنتين: (في فظاظة) نعم..!

(جلوريا ترفع قبضة يديها)

مسز كلاندون: (مرتاعة وهي ممسكة بيد ابنتها).. جلوريا.. عزيزتي لا تنسي نفسك!

(تخفف جلوريا من حدة ثورتها وتهدئ قليلًا من موقفها)؛

فالنتين: تذكري.. بأن قوة حب الرجل وقوة إعجابه تماثل أي قوة أخرى من قواه! فلا بد أن يلقيها مرات عديدة قبل أن يعرف من يستحقها حقًا..!

مسز كلاندون: هذا خطاب آخر من خطبه القديمة يا جلوريا.. فأحذري منه!

فالنتين: (محتجًا) أوه.

جلوريا: (إلى مسز كلاندون في اعتداد بالنفس واستخفاف) وهل تظنين أني محتاجة إلى التحذير منه الآن؟!

(إلى فالنتين).

لقد فشلت في أن تجعلني أحبك!

فالنتين: لقد نجحت!

جلوريا: حسنًا! لقد نجحت في أن تجعلني أكرهك من أعماق قلبي.

فالنتين: (في حكمة) إن من المدهش أن يكون الفرق بسيطًا بين الحب والكراهية.

(جلوريا تذهب في غضب بعيدًا عنه، بينما يستأنف فالنتين حديثه إلى مسز كلاندون).

أنني أعرف الرجال الذين تحبهم زوجاتهم.. أنهن يكن

تمامًا مثل هذا!!.

مسز كلاندون: اعتذر لك يا دكتور فالنتين.. من الأفضل أن تذهب.

جلوريا: لست في حاجة إلى أن تطرديه من أجلي يا والدتي! فإنه لا شيء بالنسبة لي! وسوف يرفه عن فيليب ودوللي (تجلس في اهتمام قليل في نهاية المائدة بجوار الشباك).

فالنتين: (في مرح) بالطبع هذه هي الوسيلة العاقلة للنظر إلى هذا الموضوع تعالى يا مسز كلاندون فإنك لا تستطيعين الشجار مع فراشة مثلي!

مسز كلاندون: إني لا أثق فيك يا دكتور فالنتين إلى حد كبير، ولكني لا أريد أن أؤمن بأن رعونة طبعك السيء ليست إلا شيئًا من قلة الحياء ولا قيمة لها..!

جلوريا: (إلى نفسها ولكن بصوت مرتفع) قلة حياء.. ولا قيمة لها..!

مسز كلاندون: (مستأنفة) ربما كان من الأفضل أن تستدعى فيليب ودوللي ونأذن لك بإنهاء زيارتك نهاية طبيعية..!

فالنتين: (كأنما أزجت إليه أعظم التحية) لقد أغرقتني فرحًا.. يا مسز كلاندون.. أشكرك.

(يعود الجرسون).

الجرسون: مستر كوماس يا سيدتي!

مسز كلاندون: من غير شك.. ألم يحضر.

الجرسون: أنه يريد أن يلتقي بك في حجرة الاستقبال يا سيدتي.

مسز كلاندون: ولماذا لا يجب أن يقابلني هنا؟

الجرسون: حسنًا! هل تسمحين لي بتذكيرك يا سيدتي أني اعتقد أنه يشعر أنه من الأفضل التحدث إليك بعيدًا عن الأسرة والأبناء.

مسز كلاندون: خبره بأنهم ليسوا موجودين هنا!

الجرسون: أنهم بجوار الباب يا سيدتي! وهم منتبهون لكل شيء يحدث هنا.

مسز كلاندون: (زاهية) حسنًا.. سوف أذهب إليه.

الجرسون: (يمسك الباب مفتوحًا لها) أشكرك يا سيدتي.

(تخرج فيدخل إلى الحجرة فيلتقي بنظرات فالنتين الذي يرغب في إخراجه من الغرفة).

كل شيء على ما يرام يا سيدي..! أدوات الشاي من فضلك.

(يأخذ الصينية).

أرجو المعذرة.. عن إذنك يا سيدي!

(يخرج الجرسون).

فالنتين: (إلى جلوريا) أنظري هنا.. فإنك سوف تصفحين عني إن عاجلًا.. أو آجلًا.. سامحيني الآن.

جلوريا: (رافعة مستوى صوتها).. لا.. أبدًا.. أبدًا ما دام العشب ينمو والمياه تجري.. أبدًا.. أبدًا.. أبدًا..

فالنتين: (غير خجل) حسنًا فإني لا أهتم بذلك ولا أستطيع أن أكون يائسًا من أجل شيء.. لن أكون يائسًا من أجل شيء.. لن أكون يائسًا مرة ثانية.. أبدًا.. أبدًا.. ما دام العشب ينمو وما دامت المياه تجري..

وإن التفكير فيك سوف يملأ أعطافي بالمرح.

(ترتسم على شفتيها علامة التفريع على حين هو يتدخل قائلًا في استعجال) لا.. لا.. أنني لم أقل ذلك من قبل.. أن هذا شيء جديد!!

جلوريا: أنه لن يصبح شيئًا جديدًا.. عندما تقوله للمرأة الثانية..!

فالنتين: لا.. لا يا جلوريا. أنني لن أفعل ذلك.

(يجثو عند قدميها).

جلوريا: قم.. قم.. ما أجرأك!

(يدخل فيليب ودوللي وهما متسابقان ليريا هذا المنظر فيكبحان جماح نفسيهما على حين ينهض فالنتين مسرعًا).

فيليب: (في حكمة) أرجو أن تلتمسو لنا المعذرة.. تعالي يا دوللي..

(يمد لها يده ويلتقيان للرجوع).

جلوريا: (متضايقة) إن والدتنا سوف تعود ثانية بعد لحظة واحدة.. يا فيل.

(في عنف) أرجوك أن تنتظر حتى تحضر.. (تتجه صوب النافذة وتقف وهي توليه ظهرها).

فيليب: (في تعبير له مغزي) أوه حقًا! أحم أحم.

دوللي: الله..!

فيليب: يخيل إلى أنك في روح معنوية طيبة يا فالنتين!

فالنتين: نعم! أنا كذلك (يقف بينهما) الآن انظر إلى! ألا تعرفان ماذا يحدث؟ ألا تعرفان؟

(جلوريا تدور سريعًا كأنها تتوقع غضبًا جديدًا).

دوللي: حق المعرفة.

فالنتين: حسنًا.. أن كل شيء قد انتهى! لقد رفضت لقد احتقرت.. وأني الآن أتألم فقط.. فهل فهمتما؟ أن كل شيء قد انتهى. وإن أختكما لا تحمل شيئًا نحو ابتهالاتي.. ولعلها تجد لذة في عذابي!

(جلوريا راضية عما يقول تلتفت في احتقار جهة النافذة).

فهل هذا واضح؟

دوللي: لقد عاملتك معاملة صحيحة! وكنت أنت مندفعًا جدًا.

فيليب: (يربت على كتفه) ما عليك من هذا.. فإنها لو تزوجتك فإنك لن تستطيع أن تجعل روحك ملكًا لنفسك.. وأنت تستطيع الآن أن تبدأ فصلًا جديدًا من حياتك!

دوللي: الفصل السابع عشر أو نحو ذلك كما أظن.

فالنتين: (ضجرًا من هذه الدعابة) لا.. لا تقولي أشياء تسبب أضرارًا عديدة.

دوللي: نعم..! هذا حق. أحم.. أحم..

فيليب: الله..!

(يذهب إلى المدفأة حيث يجلس هناك كأنه رأس

الأسرة، يدخل مستر كوماس مع مسز كلاندون التي تبدي قلقها على جلوريا أولًا تنظر حولها لترى أين هي وتوشك أن تذهب إليها عند النافذة فتأتي جلوريا إليها لتقابلها في جو يدل على الثقة والعاطفة وأخيرًا تجلس مسز كلاندون على مقعدها الأول وتقف جلوريا خلفها بينما يذهب مستر كوماس ليستوي على المقعد العثماني فتحييه دوللي).

دوللي: أهلًا! مستر فنش؟

كوماس: (في جد) أنباء خطيرة جدًا.. من والدك يا مس كلاندون أنباء خطيرة جدًا.. حقًا..!

(يمر في حركة معبرة إلى المقعد ثم يجلس عليه فتأتي دوللي حالًا متأثرة لتجلس عن يمينه).

فالنتين: من الأفضل أن أذهب..

كوماس: أبدًا يا دكتور فالنتين.. إن هذا الموضوع يهمك.

(فالنتين يتناول مقعدًا من حول المائدة ثم يجلس عليه منفرج الساقين مستندًا إلى ظهره بالقرب من المقعد الثاني) مسز كلاندون أن زوجك يطلب الوصاية على أبنه الصغير وابنته الصغيرة.. اللذين لم يبلغا بعد سن الرشد.

مسز كلاندون: (في إنذار مباغت) هل يريد أن يأخذ دوللي مني؟

دوللي: (متأثرة) ولكن ما أطيبه يا أمي! إنه يحبنا!

كوماس: أني آسف لتوضيح حقيقة وهم كهذا يا مس دوروتي.

دوللي: (وهي تهدل في افتتان) دوروتي. تي تي

(واقفة مستندة على كتفه مغلوبة على أمرها).

أوه! فنش!

كوماس: (في عصبية وهو يقلص نفسه) لا لا لا لا.

مسز كلاندون: إن حادث فراقنا أوجب لي الوصاية على الأبناء.

كوماس: وهو يتضمن عهدًا بألا تقتربي منهم أو تضايقيه بأي وسيلة كانت.

مسز كلاندون: حسنًا ألم أفعل هذا؟!

كوماس: إذا كان سلوك أبنائك الصغار يبلغ حد المضايقة الجائزة شرعًا فإنه في هذه الحالة يجب أخذ رأى المجلس الحسبي في ذلك وأزاء كل هذه الحوادث لا يقول مستر كرامبتون أنكم ضايقتموه فحسب إنما يعتقد أنه حضر إلى هنا بفعل مؤامرة مدبرة كان مستر فالنتين وكيلًا لك في تنفيذها.

فالنتين: ما هذا؟ أه!

كوماس: إنه يدعي أنك خدرته يا دكتور فالنتين.

فالنتين: نعم! لقد فعلت ذلك!

كوماس: ولكن لماذا فعلت ذلك؟

دوللي: من أجل خمسة شلنات زيادة!

كوماس: (إلى دوللي في لطف قليل) يجب أن أطلب منك في الواقع يا مس كلاندون إلا تقاطعي هذا الحديث الجدي بهذا التدخل غير المقبول!

(في شدة) إنني أصر على تناول المسائل الجدية بالجد وأن أناقشها بكل احترام.

(يثير هذا الانفجار صمتًا يعبر عن الاعتذار ويغير ملامح مستر كوماس الذي يسعل ثم يستأنف حديثه من جديد موجهًا الكلام إلى جلوريا).

مس كلاندون إنه من الواجب على أن أقول كذلك إن والدك حمل على نفسه أن دكتور فالنتين يرغب في الزواج منك.

فالنتين: (متدخلًا في مهارة) نعم أنا أرغب في ذلك.

كوماس: (غاضبًا) في هذه الحالة لا تندهش يا سيدي لأن يعتبرك والد الفتاة قناصًا للثروة!

فالنتين: نعم أنا كذلك! هل تتوقع أن تعيش زوجتي على ما أكسب؟ عشرة بنسات في الأسبوع؟!

كوماس: (ثائرًا) ليس عندي شيء آخر لأقوله. سوف أعود وأخبر مستر كرامبتون أنه ليس هناك مكان للوالد في هذه الأسرة.

(يتجه كوماس صوب الباب).

مسز كلاندون: (في سلطة تامة) فنش (يتوقف) إذا لم يكن مستر فالنتين جادًا فيما يقول فإنك تستطيع أن تكون جادًا. تفضل بالجلوس (يخضع مستر كوماس لها بعد صراع).

إنك تعلم أن هذا ما هو إلا سبب للتقرب، وفرجوس لا يصدق هذه القضية أكثر مما تصدقها أنت! والآن أعطني بنصيحتك الحقيقية، نصيحتك العزيزة.. نصيحتك الصديقة.. فأنت تعرف أنني دائمًا أثق في حكمتك، وإني أعدك بأن الأولاد سوف يكونون هادئين.

كوماس: (مستكينًا) حسنًا! حسنًا! إن ما أريد أن أقوله إن الاتفاق القديم بينك وبين زوجك يا مسز كلاندون قد كبده خسارة جسيمة!

مسز كلاندون: أرجوك! كيف كان هذا؟

كوماس: حسنًا! لقد كنت امرأة تقدمية.. متعودة على تحدي الرأي العام، ولا تهتمين بما يتحدث به العالم عنك.

مسز كلاندون: (فخورة) نعم.. هذا صحيح!

(جلوريا التي تقف خلف مقعدها تتقدم وتقبل شعر أمها ويتراءى الارتباك عليها بوضوح).

كوماس: ومن ناحية أخرى يا مسز كلاندون فإن زوجك يفزع من كل شيء يمسه في الصحف ذلك لأن عمله يوصف بأنه لون من ألوان الضيم لأسرة من الطراز القديم.

مسز كلاندون: أرجوك ألا تذكر الضيم الذي خلفه!

كوماس: والآن لا شك أنه كان يسلك سلوكًا فاسدًا.

مسز كلاندون: (في احتقار) من غير شك!

كوماس: ولكن هل كانت هي غلطة كلية؟

مسز كلاندون: وهل كانت غلطتي؟

كوماس: (في استعجال) لا بالطبع لا..

جلوريا: (ملاحظة إياه بانتباه) أنت لا تعني ما تقول يا مستر كوماس!

كوماس: سيدتي العزيزة! لقد أثرتني بحدة! ولكن دعيني أقول لك عندما يتزوج الرجل زواجًا غير مناسب، ولا يكون لأحد يد في هذا كما ترين – إنما لعدم توافق الأمزجة مصادفة. وعندما يحرم الرجل من العطف في المنزل وهو الذي أعتقد أن الرجل يتزوج من أجله، وباختصار عندما تكون زوجته أسوأ من أي زوجة في العالم رغمًا عنها بالطبع وبدون خطيئة منها، عندئذ هل من الغريب أن تسير الأمور من سيء إلى أسوء فيلوم الرجل زوجته بل في حالة يأسه يتجرع الخمر أحيانًا بشكل عنيف، أو يلتمس العطف في أي مكان آخر!!

مسز كلاندون: أني لا ألومه، ولكني ببساطة أنقذت نفسي وأبنائي منه!

كوماس: نعم! ولكنك فرضت شروطًا صعبة يا مسز كلاندون، وجعلته تحت رحمتك، وجعلته يجثو على قدميه عندما هددت بإعلان الأمر أمام القضاء حتى يفصل بينكما فصلًا قانونيًا. ولنفرض أنه كان يملك هذه السلطة عليك واستخدمها في اغتصاب أبنائك منك ثم رباهم وهم يجهلون اسمك. فبماذا كنت تشعرين عندئذ؟ وماذا كنت تفعلين؟ حسنًا..! ألا تتركين شيئًا من

المراعاة لشعوره بالإنسانية العامة!

مسز كلاندون: أنني لم أكتشف أبدًا مشاعره.. إنما اكتشفت مزاجه وهو (وهي ترتعش) بقية ما يملك من الإنسانية العامة!

كوماس: (في شوق) أن النساء يستطعن أن يكن قساة يا مسز كلاندون!

فالنتين: هذا صحيح.

جلوريا: (في غضب) أسكت (يسكت فالنتين).

كوماس: (مسترجعًا كل قوته) دعيني أوجه لك رجاء أخيرًا يا مسز كلاندون صدقيني.. أن هناك كثيرين من الرجال تحتدم في قلوبهم طائفة كبيرة من المشاعر، والنوازع الطيبة التي لا يستطيعون أن يعبروا عنها. وإن الشيء الذي فقدته في كرامبتون هو هذا المظهر الكاذب للحضارة! فمن إظهار اللطف الذي لا قيمة له، وإزجاء تحيات الرياء في صورة جذابة طيبة، فلو أنك عشت في لندن حيث يقوم النظام كله على الزمالة المزيفة، وقد تعرفين رجلًا طيلة عشرين عامًا دون أن تدركي أنه يكرهك كالسم فإن عينيك سوف تفتحان سريعًا.. فهناك نحن نعمل أشياء قاسية بطريقة رحيمة.. ونتفوه بأشياء مريرة في صوت رحيم..

ونعطي أصدقاءنا دائمًا مخدرًا ونحن نمزقهم أربًا أربًا.. ولكـن فكـري في عكـس ذلـك.. فكـري في هـؤلاء الناس الذين يعملون أعمالًا طيبة بوسائل غير طيبة. هـؤلاء الـذين تـؤلم لمسـاتهم وتزعـزع أصـواتهم وتخـدع طبـاعهم، هـؤلاء الـذين يجرحـون ويزعجـون الـذين يحيـونهم وهـم يريـدون أن يصـالحوهم، وهـم في حاجـة إلى المحبة كبقية الناس.

إني أعترف بأن كرامبتون كان ذا طبع مكروه ولم تكن لديـه أخـلاق.. ولا ذوق.. ولا بركـة.. وهـو لـن يستطيع أن يكسب محبة إنسان آخر إذا لم يكن لديه ثقـة في رغبتـه؟ فهـل يتجـرد منهـا تمـامًا؟ وهـل يتجـرد حتى من الشفقة عليه ويحال بين لحمه ودمه؟!

دوللي: (ذائبة تمامًا) أوه! هذا جميل يا فنش ما ألطفك!

فيليب: (في اقتناع) فنش! هذه فصاحة! فصاحة حقيقية!

دوللي: أوه يا والـدي! دعينـا نمنحـه فرصـة أخـرى ونـدعوه إلى تناول الغداء.

مسز كلاندون: (لا تتحرك) لا يا دوللي! إني بصعوبة أتناول الغداء! عزيـزي فـنش! ليسـت هنـاك فائـدة في الحـديث عـن فرجـوس.. فأنـت لم تتزوجـه إطلاقًـا.. ولكـني أنا الـتي تزوجته!

كوماس: (إلى جلوريا) مس كلاندون! أنني امتنعت حتى الآن من الألتجاء إليك، لأنه لو كان صحيحًا ما ذكره لي مستر كرامبتون فأنت أشد قسوة حتى من أمك.

جلوريا: (في احتقار) أنك تلجأ من قوتها إلى ضعفي.

كوماس: ليس ضعفك يا مس كلاندون.. أنني ألتجئ من ذكائها إلى قلبك.

جلوريا: لقد تعلمت ألا أثق في قلبي.

(في نظرة غاضبة إلى فالنتين).

فإني لو ملكت أمري لمزقت قلبي وقذفته ما استطعت إلى ذلك سبيلًا وإجابتي هي نفس إجابة والدتي.

كوماس: (مهزومًا) حسنًا! إني آسف.. آسف جدًا لقد علمت أني بذلت أقصى جهدي..!

(ينهض ويستعد للذهاب وهو غير راض من قرارة قلبه)

مسز كلاندون: ولكن ماذا توقعت يا فنش؟! ماذا تريد منا أن نفعله!

كوماس: الخطوة الأولى لكل منك ومن كرامبتون هي استطلاع رأي المجلس في هذا الانفصال. والآن لماذا لا نحصل على الرأي في الحال، ثم نتقابل مقابلة أخوية؟

(يتصلب وجهها).

وإن شئت فقولي مقابلة حيادية لحسم هذا الخلاف..

هنا؟

في هذا الفندق.. وفي هذه الليلة.. ما رأيك في هذا ؟

مسز كلاندون: ولكن من أين نحضر رأى المجلس؟

كوماس: لقط هبط علينا من سحب السماء وأنا في طريقي إليك من عند كرامبتون عضو من أعضاء مجلس الملكة، وهو الذي فوضت له الدفاع في القضية التي كانت سببًا شهرته. ولقد حضر إلى هنا من يوم السبت وسيظل حتى يوم الاثنين هنا ليستنشق نسيم البحر، وليزور قريبًا له يعيش هنا. ولقد كان طيبًا إلى حد أنه صرح لي بأنني لو تمكنت من تنظيم مقابلة بين الطرفين فإنه سوف يحضر. ليدلي لنا برأيه، والآن دعينا ننتهز هذه الفرصة لإصلاح ذات البين أخويًا..

دعيني أحضر صاحبي إلى هنا محاولًا أن أغري كرامبتون بالحضور كذلك.

هيا.. بنا.. ووافقي على هذا الاقتراح!

مسز كلاندون: (متشائمة بعد أن فكرت لحظة) فنش! أنني لا أريد رأى المجلس لأني عزمت على ألا أتبع رأيًا غير رأيي،

ولا أريد أن ألتقي بفرجوس مرة ثانية!

وإني لا أحبه، ولا أعتقد أن اللقاء بيننا سوف ينتج شيئًا طيبًا، وعلى أية حال..

(ناهضة).

فإنك قد أغريت الأولاد بأن الأمر غير ميئوس منه تمامًا فأفعل ما يرضيك!

كوماس: (آخذًا يدها ومسلمًا عليها) أشكرك يا مسز كلاندون..! هل توافقك الساعة التاسعة؟

مسز كلاندون: تمامًا.. فيل.. دق الجرس من فضلك.

(فيليب يدق الجرس).

ولكن ما دمت متهمة بأني تحالفت مع دكتور فالنتين في تنفيذ المؤامرة فأظن أنه من الأفضل أن يحضر.

فالنتين: (ناهضًا) أنني أوفقك تمامًا..! وأظن أن الأمر مهم جدًا!

كوماس: أظن أنه لن يكون هناك اعتراض على هذا.. وأني وطيد الأمل في حل سعيد.. وإلى اللقاء بكم جميعًا!!

(يذهب فيقابل الجرسون الذي يمسك الباب حتى يخرج)

مسز كلاندون: أننا ننتظر بعض الزوار في الساعة التاسعة يا وليم! هل يمكن أن نتناول العشاء في السابعة بدلًا من السابعة والنصف؟!

الجرسون: (على الباب) السابعة بكل تأكيد يا سيدتي! إنه ميعاد مناسب لنا في هذا المساء المزدحم بالعمل! فسوف تحضر فرقة موسيقية وتنظم بعض الألعاب النارية وأشياء من هنا وهناك.

دوللي: ألعاب نارية؟!

فيليب: فرقة موسيقية يا وليم؟ ماذا تعني؟

الجرسون: حفلة الرقص الساحرة يا آنسة!

دوللي: حفلة الرقص الساحرة؟!

فيليب: حفلة الرقص الساحرة؟! (متظاهرًا بالاندفاع نحوه) حفلة الرقص الساحرة؟!

الجرسون: نعم يا سيدي! إنها حفلة الرقص المقامة تحت إشراف جمعية سباق الزوارق لصالح قارب النجاة!

(إلى مسز كلاندون).

أننا غالبًا ما نقيم لهم مثل هذه الحفلات.. وستكون المصابيح الصيفية في الحديقة متألقة.. مرحة بريئة حقًا

يا سيدي (إلى فيليب).

وستباع التذاكر في المكتب تحت السلم! بخمس شلنات.. أما السيدات فسيدفعن نصف الأجر إذا كن في رفقة الرجال!

فيليب: (ممسكًا بذراعه ليجذبه) إلى المكتب يا وليم!

دوللي: (مقطعة الأنفاس تمسك بذراعه الآخر).

سريعًا قبل أن تباع التذاكر.

(يدفعه إلى خارج الغرفة بينهما).

مسز كلاندون: (تتبعهما) ولكنها سوف ينغمسان في الرقص هذا المساء ولا بد أن يحضر إلى هنا في الموعد المضروب.

(تختفي مسز كلاندون بينما جلوريا تنظر في برود إلى فالنتين ثم تنظر متعمدة إلى ساعتها).

فالنتين: لقد فهمت! أني انتظرت فترة طويلة هنا.. أني ذاهب!

جلوريا: (في أناقة مملوءة بالازدراء) أنني أدين لك ببعض الاعتذار يا دكتور فالنتين فإني شاعرة بأني تكلمت معك في لهجة حادة ربما كانت وقحة!

فالنتين: العفو يا آنستي!

جلوريا: أن عذري الوحيد هو أنه من الصعب أن تقدر وأن تحترم الآخرين عندما لا تكون لديهم كرامة يحافظون عليها.

فالنتين: كيف يستطيع الإنسان أن يظل محتفظًا بكرامته عندما يلقي عليه السحر حبائله!

جلوريا: (في غضب) لا تقل هذه الأشياء! أني أمنعك من ذلك.. إنها إهانات توجهها إلي..

فالنتين: لا.. أنها طيش فحسب.. ولا أستطيع أن أرده.

جلوريا: لو كنت حقًا في حالة حب فإن الحب لن يجعلك أحمق إنما يمنحك الكرامة والجد.. بل إنه يهبك الجمال..

فالنتين: هل تعتقدين حقًا أن الحب يهبني الجمال؟!

(تدير ظهرها له في استحقاق بارد).

أوه.. أنت ترين أنك غير جادة فيما تقولين، فالحب لا يستطيع أن يهب الرجل مواهب جديدة، إنما هو يعلي حقًا قدر المواهب التي ولد بها!

جلوريا: (تجر نفسها حوله مرة ثانية) أي مواهب ولدت بها؟ أرجوك أن تحدثني عنها؟!

فالنتين: خفة الروح!

جلوريا: وخفة العقل..! وخفة العقيدة..! وخفة كل شيء يخلق الرجال..!

فالنتين: نعم! فإن الدنيا بأجمعها تتراقص في النور الآن حيالي.. وجلوريا هي الشمس.

(تهز رأسها في كبرياء).

أطلب منك المعذرة..

فسوف أذهب وأعود في التاسعة..

إلى اللقاء..!

(يذهب في مرح تاركًا إياها في وسط الحجرة وهي تنظر إليه).

جلوريا: (وهي تصيح بأعلى صوتها غاضبة منه لأنه تركها وحدها) أيها الأحمق!!

الفصل الرابع

(يفتح الستار على نفس الحجرة في الساعة التاسعة مساء– لا يوجد أحد الغرفة – المصابيح مضاءة ولكن الستائر غير مسدله، والنافذة مفتوحة الفوانيس تتألق في الخارج والسماء مرصعة بالنجوم– الفرقة الموسيقية تعزف موسيقى الرقص في الحديقة، وتطغي على هدير البحر).

(يدخل الجرسون ثم يدخل كرامبتون وكوماس إلى الغرفة – كرامبتون يبدو مرتاعًا وقلقًا– يجلس على المقعد العثماني في تعب وفي ضيق).

الجرسون: لقد ذهبت السيدات لعمل جولة في المنطقة لرؤية الثياب المزركشة فتفضلا بالجلوس فسوف أخبرهما.

(يوشك أن يذهب إلى الحديقة خلال النافذة في الوقت الذي يوقفه فيه مستر كوماس).

كوماس: قف قليلًا.. أرجو إذا حضر رجل مهذب أن تقوده إلى هنا بدون تأخير فإننا ننتظره.

الجرسون: بكل سرور يا سيدي! ما اسمه؟

كوماس: بون.. مستر بون.. إنه رجل لا تعرفه مسز كلاندون.. وربما يعطيك بطاقته.. وإذا كان الأمر كذلك فإن اسمه يكتب هكذا "موهون" ياء، هاء، واو، نون" لا تنس.

الجرسون: (مبتسمًا) تستطيع أن تعتمد على في هذا يا سيدي فإن أسمي شخصيًا هوبون.. وإن كنت مشهورًا هنا باسم بالمي واكلتر.. وفي الحق إني سوف أتهجى أسمي بالهاء.. ولكن

أعتقد يا سيدي أنه من الأفضل ألا أعطي لنفسي هذه الحرية.. فإن هذه الطريقة تحمل طابع الدم النورماندي غير المستحب للجرسون.

كوماس: حسنًا.. حسنًا! أن القلوب الصادقة أعظم من التيجان وسلامة النية أحسن من الدم النورماندي.

الجرسون: هذا يرجع في أغلب الأحوال إلى حالة الشخص في حياته يا سيدي فلو كنت جرسونًا في مكاني لوجدت أن سلامة النية سوف تقلل رزقك كالدم النورماندي وأني أجد من الأفضل أن أتهجى اسمه ب. و. ن حتى أحتفظ بالبقشيش اللطيف الباهظ من الزبائن الذين لن يسألوا عني لو عرفوا أني من الدم النورماندي؛ ولكني أضيع وقتك يا سيدي.. وغلطتك أنك أنيس ممتع.. سأخبر السيدات أنك حضرت إلى هنا..

كوماس: كرامبتون؛ هل أستطيع أن أعتمد عليك في هذه المقابلة – ترى هل أستطيع؟

كرامبتون: نعم..! نعم.. سأكون هادئًا – سأكون صبورًا.. سأعمل أقصى جهدي معهم.

كوماس: تذكر أني لم أفرط في حقك.. وقلت إن الغلطة غلطتهم جميعًا.

كرامبتون: أنك قلت لي إن الغلطة كانت غلطتي.

كوماس: قلت لك الحق.

كرامبتون: (في حزن) ليتهم كانوا عادلين بالنسبة إلينا!

كوماس: عزيزي مستر كرامبتون! إنهم لن يكونوا عادلين بالنسبة إليك، فليس من المتوقع أن يحدث منهم هذا بعد أن بلغوا هذه السن فلو أنك تنوي فرض شروط مستحيلة مثل هذه – فمن الأفضل أن نعود ثانية من حيث أتينا.

كرامبتون: ولكن لدي حق في هذا من غير شك!

كوماس: (لا يحتمل كلامه) أنك لن تظفر بحقوقك – الآن للمرة الأخيرة يا كرامبتون.

أليس معنى وعدك بالسلوك الطيب أنك لن تشكو إذا لم يكن هناك شيء تشكو منه؟ لأن لو كنت كذلك.. (يتحرك كأنما يريد أن يمشي).

كرامبتون: (في يأس).. لا.. لا.. دعني وحيدًا.. ألا تستطيع أن تمكني من ذلك.. لقد هددت تهديدًا كافيًا.. وعذبت عذابًا كافيًا.. وأني أخبرك أني سوف أعمل أقصى جهدي.. لولا أن هذه البنت أخذت تتكلم معي مثل هذا الكلام.. وتنظر إلى مثل هذه النظرات.

(يفترق عنه ويخفي رأسه بين يديه).

كوماس: (في عطف) هناك.. هناك سوف يكون كل شيء على ما يرام لو أنك تجلدت وتحملت قليلًا. تعال.. وشد

أوصالك. فهناك أحد قادم (يبدو كرامبتون حزينًا لدرجة إنه لا يهتم كثيرًا ولا يغير موقفه إلا بصعوبة).

(جلوريا تدخل من الحديقة، كوماس يتقدم ليقابلها عند الشباك ويتكلم إليها بدون أن يسمعه كرامبتون).

أنه هنا.. يا مس كلاندون.. كوني طيبة معه.. سأتركك معه لحظة.

(يذهب إلى الحديقة بينما جلوريا تدخل وتجول في برود في وسط الغرفة).

كرامبتون: (ناظرًا حوله في ذعر) أين مستر كوماس؟

جلوريا: (غير منصتة إليه ولكن في دلال)، خرج..! خرج..! حتى يتركنا معًا.. وهذه رقة منه كما أعتقد!

(تقف أمامه، ثم تقف بجواره، وتنظر إليه كأنها تتعرف عليه).

كرامبتون: (في خضوع) حسنًا يا ابنتي!

(ينظر كل منهما إلى الآخر في حزن وسخرية غير أن السخرية ليست الصبغة الغالبة عليها).

جلوريا: صافحني يدًا بيد. (يتصافحان)

كرامبتون: (ممسكًا يدها) عزيزتي! أني آسف لأني تكلمت كلامًا غير لائق بالنسبة إلى والدتك هذا المساء!

جلوريا: أوه! لا تعتذر! لقد كنت أنا نفسي متعالية.. ومتعجرفة ولكني الآن.. انحدرت.. أوه لقد زللت!

(تجلس على الأرض بجوار كرسيه).

كرامبتون: ماذا حدث لك يا طفلتي!

جلوريا: أوه لا شيء! لقد كنت من قبل ابنة لأمي – أما الآن فإني ابنة لوالدي!

(تنظر إليه يائسة).

وهذا ذل أليس كذلك!؟

كرامبتون: (في غضب) ماذا؟

(لا تتغير التعبيرات على وجهها في حين يخضع لها).

حسنًا يا عزيزتي! إنني أفترض ذلك.. أنني خائف لأني أحيانًا أبدو منفعلًا قليلًا.. ولكني أعلم الحق.. وأتصرف بعقل في كل الأوقات حتى في الوقت الذي أكف فيه عن العمل فهل تؤمنين بذلك؟

جلوريا: أعتقد ذلك.. ولماذا لا يكون كذلك.. إنها نفسي.. نفسي التي انتهت.. إن الحق والقوة أنني أعلم والفعل هو ما تفعله تمامًا.. ولكن آه من الأشياء التي أفعلها.. والأشياء التي أدع الناس يعملونها!؟

كرامبتون: (في حقد بالرغم عنه) كما تفعل هي تمامًا؟! هل

تقصدين والدتك؟!

جلوريا: (في سرعة).. نعم والدتي!

(تعود إليه على ركبتها وتمسك يديه) الآن أنصت إلي.. لا خيانة تنسب إليها.. لا كلمة تعزي إليها.. ولا فكرة تتفوه بها ضدها إنها أسمى منا.. أنت وأنا.. إنها في السموات العلا فوقنا.. فهل توافق على هذا؟!

كرامبتون: نعم.. نعم..! حتى يرضيك هذا يا عزيزتي!

جلوريا: (غير راضية، تترك يديه وتتخلص منهما) وتنسحب إلى الوراء).

هل أنت لا تحبها..!؟

كرامبتون: طفلتي..! إنك أنت لم تتزوجيها.. أنا الذي تزوجتها.. (تنهض على قدميها وتنظر إليه بتردد متزايد) إنها ارتكبت غلطة كبيرة في الزواج مني دون عناية! ولكن بعد هذا أستطيع أن أقول إن الغلطة كلها كانت على عاتقي.

(يقدم إليها يديه مرة ثانية).

جلوريا: (تقبض على يديه في ثبات وتحذير).. احترس..! إن هذا هو موضوعي الخطير.. فمشاعري.. مشاعري الأنثوية الجبانة قد تكون في جانبك ولكن ضميري دائمًا يكون معها..!

كرامبتون: أنني قانع جدًا بهذا التقسيم يا عزيزتي! أشكرك! (فالنتين يصل – جلوريا في الداخل تتعمد الكبرياء).

فالنتين: أرجو قبول عذري! ولكن كان من المستحيل أن أجد خادمًا ليعلن قدومي إليكم.. حتى وليم الخائب الذي أظن أنه الآن في حفلة الرقص! فكان لابد أن أحضر بنفسي.. ولم يكن معي خمسة شلنات لشراء تذكرة للدخول..!

كيف حالك الآن يا كرامبتون؟ هل تحسنت؟ آه.

كرامبتون: أنني كما أنا مرة ثانية يا فالنتين، أنني لا أشكرك.

فالنتين: أنظري إلى أهلك ناكري الفضل يا مس كلاندون!

جلوريا: (في برود) إنني آسفة لأن والدتي غير موجودة لمقابلتك يا دكتور فالنتين! إنها لم تأت الساعة التاسعة تمامًا.. والجنتلمان الذي تحدث عنه مستر كوماس.. أعني المحامي الذي يقصده لم يحضر بعد.

فالنتين: (في مرح وخبث) أوه! إنه حضر.. وقابلته وتحدثت معه! إنك سوف تحبينه يا مس كلاندون.. إنه كتلة من الذكاء.. ويمكن لك أن تصغي إلى صوت عقله وهو يعمل..!

جلوريا: (متجاهلة منهمكة).. أين هو؟

فالنتين: أشترى أنفًا مزيفًا.. وذهب إلى حفلة الرقص الساحرة..

كرامبتون: (في حدة وهو ينظر إلى الساعة) يخيل إلى أن كل شخص قد ذهب إلى حفلة الرقص بدلًا من أن يحضر في موعدنا هنا..!

فالنتين: أوه! إنه سوف يحضر كما اتفقنا فهذا حدث من نصف ساعة خلت ولم أرغب في استدانة خمسة شلنات منه لأدخل معه، واندمجت مع الشعب، وأخذت أنظر من السور حتى اختفت مس كلاندون في الفندق.

جلوريا: إذن فأنت قد وصلت إلى هذا! وأنت قد تتبعني في الزحام حتى تحدق إلى..

فالنتين: نعم.. وليس من الواجب أن يقيدني أحد حتى يمنعني من الحركة..!

(جلوريا تدير له ظهرها ثم تذهب إلى المدفأة في حين يتقبل رجرها في حكمة ويذهب إلى الناحية المواجهة ويظهر الجرسون عند الشباك وهو يدخل مسز كلاندون ومستر كوماس).

مسز كلاندون: أنني آسفة لأنني جعلتكم جميعًا تنتظروني.

(يظهر عند الشباك شخص غريب ذو منظر مضحك وهو يلبس رداء التنكر ويضع على أنفه منخارًا مزيفًا

ويضع على عينه عوينات).

الجرسون: (إلى الشخص الغريب) معذرة يا سيدي..!

هذه غرفة خاصة.. هل تسمح لي بأن أريك الطريق إلى النصف الأمريكي وحجرات العشاء.. هذا هو الطريق..!

(يسير الجرسون إلى الحديقة وهو يعتقد أن الشخص المتنكر تبعه، ولكن الشخص الغريب يدخل إلى الغرفة مباشرة حتى يبلغ نهاية المائدة حيث يخلع في تعمد المنخار المزيف ثم الوجه ويدحرج المنخار مع الوجه ويقدمهما على المائدة كما يقذف لاعب الكرة وهو يرى الآن شخصًا ضخمًا بين الأربعين والخمسين حليق الذقن ذا وجه شاحب، وشعر أسود خشن قصير ومدهون بالزيت أما رموش عينيه فتشبه شعر الحصان وهو رجل خشن في مظهره الجسمي والروحي وفي فكره ومنطقه القاسي الحاد ويبدو سلوكه عندما يدخل الغرفة أنه مهيب إلى درجة كافية ومضطرب ولكنه عندما يتكلم يسمع صوته القوى المهدد، ومنطقه الواضح وسلوكه العنيد، وقوته على الاستماع والانتقاد برفع التأثير الذي يتركه إلى ذروة القوة).

الغريب: أن أسمي هو بوهن (رهبة عامة).

هل يكون لي الشرف في مخاطبة مسز كلاندون؟

(مسز كلاندون تنحني– بوهن ينحني).

(جلوريا تنحني – بوهن ينحني).

مستر كلاندون!

كرامبتون: (مصرًا على المناداة باسمه الصحيح وهو غاضب).

أن اسمي هو كرامبتون يا سيدي..!

بوهن: حقًا..!

(لا يعيره أية ملاحظة ثم يلتفت إلى فالنتين).

هل أنت مستر كلاندون؟

فالنتين: هل أنا أشبهه؟ أن اسمي هو فالنتين وقد قمت بتحذيره..!!

بوهن: هذا صحيح تمامًا..! إذن ألم يصل بعد مستر كلاندون؟!

الجرسون: (يدخل في شغف من باب على طراز نافذة) ألتمس المعذرة يا سيدتي!

(يتعرف على بوهن ويفقد كل اعتداد بالنفس– بوهن ينظر إليه في صلابة ليستجمع قواه..)

أعذرني يا سيدي.. أني واثق (في نغمة محطمة) آه هل أنت يا سيدي..!

بوهن: (بدون تأنيب للضمير) نعم هو أنا..!

الجرسون: (غير قادر على كبح جماح دموعه) هل أنت الذي كنت تلبس الأنف المزيف؟ والتر...

(يتعلق بكرسي ليسند نفسه).

أرجو المعذرة يا سيدتي..! فهذا قليل من الطيش.

بوهن: (في لهجة الأمر) إنك سوف تقبلين عذره يا سيدتي عندما تعلمين أنه والدي..!!

الجرسون: (بقلب محطم) أده.. لا.. لا يا والتر هل يكون الجرسون أبا لابن يليس القناع على أنفه؟ ماذا سيظن الناس عني؟!

(بوهن ينحني في رزانة).

الجرسون: (يحرك رأسه.. لا.. لا يا سيدتي.. لقد كان هذا عطفًا من جانبك، وشرفًا في خصالك وائتناسًا لك بالناس من عرشك.. أنني يجب أن أشعر أنني لا أتساوى معكم في المقام.. وما على جناح أن أكون والدًا لهذا الجنتلمان يا سيدتي!! فإن حادث ميلاده بعد كل شيء هو الذي هيأ لي ذلك..! وإنك سوف تقبلين عذري.. لأني واثق أني قاطعت عملك.. (يبدأ في أخذ طريقة على امتدد المائدة، وهو يسند نفسه من مقعد إلى مقعد وعيناه مصوبتان إلى الباب..).

بوهن: دقيقة واحدة..!

(الجرسون يقف بقلب مرتجف).

والدي.. كان شاهدًا.. لما حدث اليوم.. ألم يكن كذلك يا مسز كلاندون؟

مسز كلاندون: نعم رأى أغلب الأمور كما أظن..!

بوهن: في هذه الحالة فإننا سنكون في حاجة إليه.

الجرسون: (متوسلًا) أرجو ألا يكون هذا ضروريًا يا سيدي فهذا مساء مزدحم بالعمل يا سيدي مع الحفلة الراقصة.. إنه مساء مزدحم بالعمل.

.. حقًا يا سيدي!

بوهن: (في عدم لين) سوف تحتاج إليك..

مسز كلاندون: (في أدب) تفضل بالجلوس..!! ألا تريد أن تجلس؟

الجرسون: (في جد) أعفيني يا سيدتي.. سامحيني من الجلوس، أشكرك – يا سيدتي..!! فأنا لا أرغب أن يراني أحد أفعل شيئًا من هذا أشكرك.. الأمر سواء..! (ينظر حوله من وجه إلى وجه وهو محطم في نظرات تذيب قلبًا من حجر).

جلوريا: لا تجعلنا نضيع الوقت.. فوليم لا يريد إلا أن يقوم بخدمتنا.. وأنا أريد فنجانة من القهوة..

الجرسون: (متألق الوجه) قهوة يا آنسة..

(ينبعث فيه، قليل من الأمل).

بكل تأكيد يا آنسة.. أشكرك يا آنسة في الحال يا آنسة. لا شك أنك مفكرة متبصرة..

(إلى مسز كلاندون في جبن ولكن في توقح..).

هل تريدين شيئًا يا سيدتي؟

مسز كلاندون: نعم.. نعم.. إن القهوة ساحنة جدًا. أظن أن من الأفضل تناول قدح من الخمر الفرنسي..

الجرسون: (مبتهجًا) خمر فرنسي يا سيدتي؟ بكل تأكيد يا سيدتي..

جلوريا: أنا أريد قدحًا من الخمر الفرنسي كذلك بدلًا من القهوة. وأحضر لي مزة من الخيار معها..!

الجرسون: (في انشراح) الخيار يا آنسة.. بكل سرور يا آنسة.

(إلى بوهن).

هل تريد شيئًا خاصًا فأنت لا تحب الخيار لو أذنت مسز كلاندون بتناول بيرة سكوتش بالسيفون..

الجرسون: طيب يا سيدي (إلى كرامبتون) أنت تحب الأبرش كما أظن.

(كرامبتون يقبل بحركة تصدر عنه في حين ينظر الجرسون

مستفسرًا إلى فالنتين..).

فالنتين: أنا أحب مزة الخيار..

الجرسون: طيب يا سيدي..

(ملخصًا الطلبات).

واحد خمرة فرنسي.. وواحد سيفون.. وواحد سكوتش.. وواحد أبرش..

مسز كلاندون: اعتقد أن هذا صحيح.

الجرسون: صحيح يا سيدتي.. سوف تحضر الطلبات مباشرة، أشكرك يا سيدتي.

(يتحول من اليأس إلى فرط السرور في خمسين ثانية).

كوماس: أظن أننا نستطيع الآن..

يوهن: يجب أن ننتظر حتى يحضر زوج مسز كلاندون..

كرامبتون: ماذا تعني؟ أنا زوجها؟

يوهن: (يثبت في الحال لعدم التوافق بين هذا الاسم والاسم السابق)

لقد قلت الآن منذ لحظة أن اسمك كرامبتون.

كرامبتون: نعم هو كذلك..

مسز كلاندون: أنا

جلوريا: أنه

كوماس: مسز

فالنتين أنت

(يتكلمون في صوت واحد)

بوهن: (يطغي عليهم بكلمات عاصفة) لحظة واحدة (صمت رهيب) ارجوكم أن تسمحوا لي.. تفضلوا بالجلوس.. ليتفضل كل منكم بالجلوس..

(يطيعون كلامه في تواضع.. جلوريا تجلس على مقعد بجوار المدفأة.. فالنتين يجلس على المقعد العثماني في مواجهة الشباك حتى يتمكن من النظر إليها.. مستر كرامبتون يجلس على مقعد عثماني آخر وظهره متجه نحو فالنتين.. مسز كلاندون تجلس في أحد جوانب الغرفة حتى تتجنب كرامبتون ما استطاعت إلى ذلك سبيلًا.. ومكانها بجوار الباب وإلى جانبها مستر كوماس على اليسار في حين يضع بوهن نفسه في وسط الجماعة بجوار زاوية المائدة بجانب مسز كلاندون ثم يثبت عينيه على مستر كرامبتون، ويبتدئ قائلًا:

في هذه الأسرة يظهر لي أن اسم الزوج هو كرامبتون في

حين أن اسم الزوجة كلاندون ولذلك فنحن في مستهل هذه القضية أمام عنصر عن عناصر الارتباك.

فالنتين: (ناهضًا ثم متكلمًا وإحدى ركبتيه على المقعد العثماني) ولكن الأمر بسيط..

بوهن: (ينهي حديثه بصوت كالرعد) أنها مسز كلاندون التي اختارت اسمًا آخر. هذا هو التفسير الواضح الذي خفت ألا أدركه؛ إنك تفقد الثقة في ذكائي يا مستر فالنتين..

(يوقفه وهو على وشك الكلام).

لا.. أنا لا أريد أن تجيب لي على هذا.. وإنما أريد أن تفكر في الدافع الذي يدفعك إلى مقاطعتي مرة ثانية..

فالنتين: (مخطوف البصر) أن ما يزعجك أشبه بالفراشة التي تحوم على أحدى العجلات؟ فهل هذا يهم؟

(يجلس مرة ثانية)

بوهن: سأخبرك ماذا يهم يا سيدي. فإن ما يهم يا سيدي هو أن هذا الخلاف العائلي يجب أن يزول كما نأمل نحن جميعًا، فإن مسز كلاندون استجابة للراحة الاجتماعية وآداب اللياقة يجب أن تتسمى باسم زوجها..

(مسز كلاندون تظهر تعبيرًا يدل على العناد) أو بطريق

آخر يسمى مستر كرامبتون نفسه باسم مستر كلاندون..

(كرامبتون ينظر نظرات جامحة وهو يعتزم إلا يفعل شيئًا من هذا النوع) من غير شك أنكم تعتبرون المسألة بسيطة يا مستر فالنتين.

(ينظر متعمدًا إلى مسز كلاندون ثم كرامبتون) ولكني اختلف عنكم.

(يجلس على المقعد بعد أن يلقي بنفسه عليه إلقاء، وهو متجهم الوجه)

كوماس: (في جبن) يا مستر بوهن أننا يجب أن نتدبر الأسئلة الهامة أولًا.

بوهن: أنه لن تكون هناك صعوبة حول الأسئلة الهامة، لن تكون هناك مطلقًا. إنها التفاهات التي كانت سببًا في تحطيمك في البداية.

(كوماس ينظر إليه كأنما اعتبر هذا الكلام تناقضًا ظاهريًا)

ألا توافق على كلامي؟..

كوماس: (متملقًا إياه) ولو وافقت؟

بوهن: (مقاطعًا إياه) لو وافقت فأنك سوف تكون أنا بدلًا من أن تكون أنت..

كوماس: (متملقًا إياه) من غير شك يا بوهن فإن اختصاصك..

بوهن: (مقاطعًا إياه مرة ثانية) اختصاصي أن أكون محقًا عندما يكون الآخرون على غير حق.. ولو اتفقت معي فأنا لن أفيدك شيئًا.

(يحرك رأسه ليتجنب هذه النقطة، ثم يلتفت فجأة وبقوة إلى كرامبتون).

الآن يا مستر كرامبتون.. أي نقطة في هذه تؤلمك في الصميم؟

كرامبتون: (مبتدئًا في بطء) أنني أريد أن أنحي جميع الاعتبارات الشخصية في هذا الموضوع..

بوهن: (مختصرًا كلام كرامبتون) ونحن جميعًا كذلك.. (إلى مسز كلاندون) هل تريدين أن تطرحي الاعتبارات الشخصية جانبًا؟!!

مسز كلاندون: نعم أنني لا استشير مشاعري في سبب حضوري إلى هذا المكان.

بوهن: وهل أنت كذلك يا آنسة؟!!

جلوريا: نعم.

بوهن: أنني أعتقد كذلك فنحن جميعًا فاعلون.

فالنتين: إلا أنا فإن أغراضي أنانية.

بوهن: هذا لأنك تعتقد أن الإخلاص سوف ينتج تأثيرًا طيبًا عند مس كلاندون أكثر مما ينتجه النفور.

(يتحطم فالنتين من هذه الملاحظة فيحتمي بابتسامة ضعيفة ولا يتكلم.. ويغتبط بوهن لأنه سحق كل تمرد ثم يرمي نفسه على مقعده في هيئة تدل على أنه سوف يستمع إلى أحزانهم في تسامح)

والآن يا مستر كرامبتون استأنف كلامك فمن المفهوم أن الاعتبارات الشخصية قد طرحت جانبًا، والطبيعة الإنسانية يجب أن تبدأ على هذه الصورة.

كرامبتون: ولكني أعني هذا يا سيدي..

بوهن: هذا صحيح.. والآن ما النقطة التي تريد أن تتحدث عنها..

كرامبتون: إن كل إنسان عاقل سوف يعترف أنها نقطة لا تمت إلى الأنانية بصلة..

إنها تتصل بالأبناء

بوهن: هذا طيب.. ماذا ترى فيما يخص الأبناء؟

كرامبتون: (في عاطفة) إنهم..

بوهن: (واثبا مرة ثانية) قف أنك ستعبر لي عن مشاعرك الخاصة يا مستر كرامبتون.. لا تفعل هذا أنا متيقن منها.. ولكنها لا تتصل بعملي.. خبرنا عما تريد تمامًا.. وهذا ما نريد أن تصل إليه.

كرامبتون: (في صعوبة) إنه سؤال صعب الإجابة يا مستر بوهن.

بوهن: تعال، فإني سوف أعاونك في الإجابة عنه.. أي شيء تعترض عليه في أحوالك وأبنائك؟

كرامبتون: إنني اعترض على الطريقة التي تربوا بها.

(مسز كلاندون تحرك جفنيها بحركة تشاؤمية)

بوهن: وماذا تقترح لتغيير هذا الآن؟

كرامبتون: أرى أنهم يجب أن يرتدوا ملابس أكثر وقارًا..

فالنتين: هذا كلام فارغ..!

بوهن: (متحركًا في الحال على كرسيه لهذه المقاطعة وهو غضبان) متى تنتهي يا مستر فالنتين؟ متى تنتهي تمامًا؟؟

فالنتين: أي خطأ في ملابس مس كلاندون؟

كرامبتون: (في حدة إلى فالنتين) إن رأيي أنها حسنة مثل رأيك!!

جلوريا: (محذرة) والدي؟!

كرامبتون: (مستكينًا في شفقة) إنني لا أقصدك يا عزيزتي؟

(متوسلًا إلى بوهن)

ولكني أقصد الأبناء الصغار، إنك لم ترهما يا مستر بوهن من غير شك لو أنك رأيتهما فأنك سوف تتفق معي بأن هناك شيئًا ملحوظًا، شيئًا مسرفًا في التهتك والطيش في أسلوب ملابسهما..

مسز كلاندون: (في عدم صبر) هل تفترض أني سوف أختار لهما الملابس؟ حقًا هذه عقلية أطفال..!

كرامبتون: (ناهضًا في غضب) عقلية أطفال؟!!

(مسز كلاندون تنهض مقاطعة)

كوماس: كرامبتون إنك وعدت.

كلهم في صوت واحد

فالنتين: هذا شيء يدعو إلى السخرية

جلوريا: أرجوكم دعونا نتكلم بعقل (ضوضاء، وعلى حين غرة يسمعون صوت زجاجات في الغرفة الخلفية فيلتقون كأنهم مذنبون فيرون الجرسون وقد وصل من البار إلى الحديقة وهو يحمل الصينية إليهم ويقترب من المائدة، ويخيم على المكان صمت رهيب).

الجرسون: (إلى كرامبتون واضعًا كوبًا منفردًا على المائدة) ايرش لك!

(كرامبتون يجلس وهو خجل بعض الشيء في حين أن الجرسون يضع قدحًا آخر بالسيفون ويخاطب بوهن)

سكوتش وسيفون لك.!

(بوهن يحرك يده في حين أن الجرسون يضع إناء زجاجيًا كبيرًا وثلاثة أقداح في الوسط)

الخمرة الفرنسية:

(الجمع يستكينون في أماكنهم – الصمت يخيم على الجميع)

مسز كلاندون: إنني أسفة لأننا قاطعناك يا مستر بوهن.

بوهن: (في هدوء) أنت فعلت ذلك؟!

(إلى الجرسون الذي ذهب لحاله) أرجوك أن تنتظر قليلًا..!

الجرسون: نعم يا سيدي..! من غير شك..

(يقف خلف مقعد بوهن)

مسز كلاندون: (الجرسون) أرجو ألا تزعجك رغبتنا في الاحتفاظ بك .. فمستر بوهن هو الذي يرغب في ذلك.

الجرسون: (هادئًا في سهولة) لا.. لا يا سيدتي..

أنه شيء يدعو إلى السرور أن ألاحظ ما يقوم به عقله

القوى المدرب.. إنه عقل قوي.. محرك جدًا.. مسل جدًا.. ومثقف حقًا يا سيدتي..

بوهن: (مستأنفًا الأمر في سير القضية) والآن يا مستر كرامبتون إنا الآن ننتظرك.. هل تنحيت عن اعتراضك على الملابس أم لا تزال متمسكًا بها؟

كرامبتون: (مدافعًا) مستر بوهن.. تدبر موقفي لحظة.. فقد أخذت أتدبره وحدي.. فهناك أختي سوفورينا، وابن عمي، وذوو قرباي إنهم يرتاعون من رؤية شيء.. تمامًا.. تمامًا..

بوهن: شيء ماذا؟ صرح.. هل هو شيء داعر؟ وهل هو شيء صارخ؟ هل هو شيء متهتك؟

كرامبتون: إنه ليس شيئًا سافل المبادئ بالطبع ولكن (يتكلم في يأس) هذه الفتاة.. وهذا الفتى سوف يصدمانهما.. أنهما لا يستحقان أن يختلطا بأسرهما.. وهذا ما أشكو منه..

مسز كلاندون: (في غضب مكتوم) مستر فالنتين هل تظن أن هناك شيئًا داعرًا وصارخًا بالنسبة إلى فيليب أو دوللي؟

فالنتين: من غير شك لا.. هذا هراء تام.. لا شيء يمكن أن يكون أحسن ذوقًا من ذوق ملابسهما..

كرامبتون: نعم.. بالطبع لا بد أن تقول كذلك..

مسز كلاندون: وليم.. أنك تختلط كثيرًا بالمجتمع الإنجليزي الراقي.. فهل ابنتي وابني مسرفان في ملابسهما؟

الجرسون: (مؤكدًا مرة ثانية) لا يا سيدتي العزيزة..!

(محرضًا) لا يا سيدتي.. لا تمامًا، إن ملابسهما لطيفة مسايرة للذوق من غير شك، فاخرة جدًا.. ومنسقة جدًا.. ومهذبة جدًا.. ومن الطبقة الراقية حقًا.. أنهما يبدوان كالابن والابنة لعميد من العمداء أنا أؤكد لك ذلك يا سيدتي.. حسبك أن تنظر إليهما يا سيدي (في هذه اللحظة يتقدم بلياتشو وراقصة يرقصون رقصة الفالس للفرقة الموسيقية الموجودة في الحديقة ويدوران في الغرفة ويرتدي البلياتشو ملابس مزخرفة من الحرير الأزرق الفيروزي ومطرزة بالذهب المتعاقب، وبها أشكال رباعية مثل السنبوسك ومستديرة والمضرب الذي في يده مطلي بالذهب والقناع ظاهر على وجهه، أما ملابس الراقصة فذات لون برتقالي مذهب ومرمري كما ترتدي سترة صغيرة من القطيفة وقد بدأ الاثنان في منظر خلاب بين مستر كوماس وبوهن ثم رجعا ليكونا دائرة عند طرف المائدة عندما انتهى المقطع الأخير من الفالس وقد كونا منظرًا في وسط الجماعة الموجودة وكان البلياتشو راكعًا على ركبته اليسرى في حين كانت الراقصة واقفة على ركبتيها اليمنى ويداها منفرجتان فوق رأسها.. وبالرغم

من أن منظرهما كان خلابًا فأن منظرهما كان يهدد بوقوع كارثة مؤكدة..)

الراقصة: صائحة ليسندني أحدكم.. فأني على وشك السقوط.. بابا اسندني..

كرامبتون: (يذهب إليها في شغف ليمسك يديها) ابنتي..!

(تقفز بمساعدته) أشكرك.. هذا جميل منك.

(فيليب يجلس عند حافة المائدة ويملأ قدحه من الخمر الفرنسي في حين يرجع كرامبتون إلى المقعد العثماني وهو مضطرب).

أي دعاية هذه يا عزيزتي؟؟

(تجلس على المقعد بعد قفزة منها على حافة المائدة).

ناولني قدحًا من الخمر الفرنسي..

(تشرب)

بوهن: هل هذه هي الفتاه الصغيرة؟ هل هي كذلك؟

(في نغمة قوية)

دوللي: (تنسحب من على المائدة عندما سمعت صوته الرهيب ولاحظت سلوكه الحاد).

نعم يا سيدي.. هل لك أن تخبرني من تكون أنت..؟!

مسز كلاندون: أنه مستر بوهن يا دوللي..!! الذي حضر مشكور ساعدتنا هذا المساء..!!

دوللي: أذن فهو قد حضر كنعمة وبركة لنا..!!

فيليب: اش..!!

كرامبتون: مستر بوهن.. مستر كوماس أرجوكما أن تخبراني.. هل صحيح أنكما تلومان أسرة شقيقتي لاعتراضها على ذلك؟!!

دوللي: (خجلة في تساؤل) هل أستأنف الكلام مرة ثانية..؟

كرامبتون: (مهدئًا إياها).. لا.. لا فربما كان هذا طبيعيًا في سنك.

دوللي: (في عناد) ما عليك من سني، هل هذا.. هذا لطيف؟!

كرامبتون: نعم يا عزيزتي نعم!!

(يجلس في خضوع)

دوللي: (مصممة) هل تحب ذلك؟

كرامبتون: ابنتي.. كيف تظنين أن أقبل هذا.. أوافق على هذا؟!

دوللي: (مصممة على ألا تدعه) كيف تعتقد أن هذا شيء لطيف ثم لا تحبه؟

كوماس: (ناهضًا) حقًا يجب أن أقول..

(بوهن الذي أصغى إلى دوللي ووافق موافقة تامة على

كلامهما تنقض عليه في الحال)

بوهن: لا.. لا تقاطع يا مستر كوماس.. فسلوك الفتاة طيب.. (إلى دوللي في تأكيد قوي)

اختصري أسئلتك يا مس كلاندون.. اختصري اسئلتك..

دوللي: ملتفته إلى بوهن.. يا عزيزي أنك تلعب بالقانون هل انت تستمر دائمًا هكذا؟

بوهن: (ناهضًا).. نعم.. لا تزعجيني ايتها الفتاة إنك.. لا تزالين صغيرة جدًا حتى تفعلي هذا..!!

(يتناول مقعد مستر كوماس من جانب مسز كلاندون ويضعه بجوار مقعده)

تفضل بالجلوس..

(تجلس دوللي كما يجلس بوهن مرة ثانية، كما يبحث مستر كوماس عن مقعد من الجانب الآخر ويجلس بين المائدة والمقعد العثماني) والآن يا مستر كرامبتون.. الحقائق أمامك من كلتا الناحيتين.. أنك تظن أنك تستطيع أن تأخذ ابنك وابنتك الصغيرة حتى تعيش معهما حسنًا.. ولكن هذا لن يتاح لك!

(كرامبتون يحاول أن يعترض ولكن بوهن لا يقبل منه أي

كلام..) لا إنك لن تستطيع.. إنك تظن أنك تستطيع، ولكني أعرف خيرًا منك.. إنك تريد هذه الفتاة أن تكف عن ارتداء ملابس تشبه راقصة المسرح في المساء وراقصة العصر الحديث في الصباح.. حسنًا.. أنها لن تفعل هذا أبدًا.. لن تظن أنها تفعل هذا.. ولكن..

دوللي: (مقاطعة إياه) لا أني لا استطيع..

(في عزم)

لن أكف عن ارتداء الملابس اللطيفة.. أبدًا كما قالت جلوريا للرجل في ميديرا.. ابدًا.. ابدًا.. ابدًا.. ما دام العشب ينمو وما دامت المياه تجري.

فالنتين: (ناهضًا في حالة هياج شديد) ماذا؟ ماذا؟ يبدأ الكلام بسرعة شديدة متى قالت هذا؟ ولمن قالت هذا؟

بوهن: (يقذف نفسه على الكرسي في احتجاج يدعو إلى الشفقة) مستر فالنتين.

فالنتين: (مقاطعًا) لا تقاطعني يا سيدي فهذا شيء جدي حقًا.. إنني أصر على أن أعرف من هو الذي قالت له مس كلاندون..

دوللي: ربما كان فيليب يتذكر من هو الذي قالت له جلوريا هذا الكلام هل هو رقم ثلاثة أم رقم خمسة..

فالنتين: رقم خمسة..

فيليب: تشجع يا فالنتين.. لم يكن رقم خمسة أنما كان بحارًا مهذبًا في درجة ليفتنانت، وكان رجلًا صبورًا لا يؤذي الناس..

جلوريا: (في برود) أرجوكم، ماذا نحن نناقش الآن؟

فالنتين: (وقد أحمر وجهه) أعذروني إني آسف.. لقد قاطعت حديثكم.. إنني لن اتدخل في الحديث أكثر من ذلك يا مسز كلاندون..

(ينحني لمسز كلاندون ويذهب إلى الحديقة وهو يتميز من الغضب).

دوللي: احم.. احم..

فيليب: الله.. الله..

جلوريا: استمر يا مستر بوهن..

دوللي: (مقاطعة الحديث في حين يستجمع بوهن نفسه ليتناول القضية) أنك تنهرنا يا مستر بوهن..

بوهن: أنا؟..

دوللي: (تقاطعة) نعم أنك تفعل أنك تظن أنك لا تفعل، ولكنك في الواقع تفعل.. لقد عرفت ذلك من حواجبك..

بوهن: (مستسلمًا) مسز كلاندون هؤلاء أطفال مهرة.. ذوو عقول صافية.. وتربية حسنة.. وأني أعترف بذلك متعمدًا.. فهل لك في نظير هذا أن تشير على بطريقة تغريهم بوضع ألسنتهم في أفواهم.

مسز كلاندون: عزيزتي دوللي..

فيليب: يميننا القديم يا دوللي..!! الصمت.

(دوللي تصمت)

مسز كلاندون: الآن يا مستر بوهن قبل أن يبدأ أوامره ثانية..

الجرسون: (في نعومة) أسرع يا سيدي أسرع..

دوللي: (عاتبة) عزيزي وليم..

فيليب: اش..

بوهن: (يبتدئ دون أن يتوقع أحد ذلك ويرمي أحد اسئلته لدوللي)

هل لك نية في الزواج؟

دوللي: أنا؟ حسنًا!! إن فنش يناديني باسمي الشخصي الذي عمدت به.

كوماس: (يبدأ في عنف) إنني لن أفعل هذا يا مستر بوهن فأنا استخدم اسم الآنسة الذي عمدت به بصورة طبيعية

كصديق قديم لوالدتها.

دوللي: نعم فليناديني باسم دوللي كصديق قديم لوالدتي..! ولكن أي شيء بخصوص دورتي؟ (كوماس ينهض وهو مغتاظ)

كرامبتون: (ينهض في قلق ليكبح جماحه) هدئ من روعك يا مستر كوماس.. لا تجعلنا نتشاجر.. كن حليمًا..

كوماس: لن أكون حليمًا.. إنكم تظهرون الضعف والحقد في الأخلاق.. كرامبتون إني أقول لك أن هذا فظيع..

دوللي: مستر بوهن.. أرجو أن تنهر فنش من أجلنا..

بوهن: سأنهره.. مستر كوماس.. إنك تجعل نفسك سخرية أمام الناس.. اجلس..

كوماس: أنا؟

بوهن: يدفعه إلى الجلوس في غطرسة.. لا.. أجلس أجلس.

(كوماس يجلس وهو مقطب الوجه في حين يهدئ هذا المنظر من روع كرامبتون فيجلس مثله)..

دوللي: (إلى بوهن في وداعة) أشكرك..

بوهن: الآن.. أصغوا إلى جميعًا.. أنني لن أدلي برأي في الموضوع.. إلى أي مدى أنت تتفق مع رأيي.. هذه الآنسة؟

(كوماس على وشك الاحتجاج..)

لا.. لا تقاطعني.. فأنها أن لم تتزوج منك فستتزوج شخصًا آخر وهذا هو حل المعضلة التي تكابدها لأنها لا تحمل اسم ابيها أما الآنسة الأخرى فأنها تعتزم الزواج..

جلوريا: (عجلة) مستر بوهن..

بوهن: نعم أنك ستتزوجين.. أنك تعلمين هذا، ولكن هذا صحيح..

جلوريا: (ناهضة) صه يا مستر بوهن فأني أحذرك من الإجابة على مقاصدي..

بوهن: (ناهضًا) أن هذا لن يجدي يا مس كلاندون، إنك لن تستطيعي أن تهدئيني فأنا أقول لك إن اسمك سوف يقرن إما بكلاندون وإما بكرامبتون وسوف أخبرك عن الاسم الذي اختاره.

(يذهب إلى المائدة ويتناول رداءه التنكري.. ينهض الجميع ويذهب فيليب إلى المائدة، وبوهن بحركة يدعو الجرسون إلى معاونته في ارتداء الروب) مستر كرامبتون. أن فكرتك في الالتجاء إلى القانون باطلة، فإن أبناءك سوف يصلون إلى سن الرشد قبل أن يتخذ قرار هذا النقط.

(يأذن للجرسون بوضع رداء التنكر على اكتافه)

إنك لن تستطيع أن تفعل شيئًا سوى أن تقوم باتصالات ودية فلو كنت ترغب في أسرتك أكثر مما ترغب هي فيك فأنك سوف تظفر بنتائج سيئة، أما إذا كانت أسرتك ترغب فيك أكثر مما ترغب أنت فيها فأنك سوف تظفر بنتائج أحسن..

(يحرك الرداء في طيات مناسبة ويتناول الأنف المزيف ودوللي تنظر إليه في إعجاب..)

فإن قوة موقفك تتمثل في أنك لطيف المعشر شخصيًا أما قوة مركزك فتتمثل في دخلك.

(يصفق على الأنف المزيفة ويتغير شكله مرة ثانية بصورة مضحكة)

دوللي: (وهي تجري نحوه) الآن.. إنك تبدو كإنسان، هل لك أن ترقص معي رقصة واحدة؟؟ هل تعرف الرقص؟

(فيليب يستأنف دوره كمضحك أو بلياتشو ويحرك عصاه كأنما يلقي السحر عليهم..)

بوهن: (في صوت كالرعد) نعم إنك تظنين أني لا أستطيع الرقص ولكني أستطيع.. إذن لي..

(يمسكها ثم يرقص ويظهر أن خلال الشباك في رقصات

عنيفة مدروسة وتدل على الذوق)..

فيليب: هيا إلى الرقص.. دع المرح طليقًا.. يا مستر..

الجرسون: سمعًا وطاعة يا سيدي..

فيليب: هل تستطيع أن تحصل على زوج من أردية التنكر والأنوف المزيفة لكل من والدي ومستر كوماس؟

كوماس: من غير شك.. لا.. أنا احتج على هذا الكلام..

كرامبتون: نعم.. نعم.. أي ضرر في هذا.. إنها مرة واحدة.. يا مستر كوماس لا تدعنا نفسد هذا اللهو ..

كوماس: كرامبتون.. أنك لست الرجل الذي كنت أظنه (في تعمد).. إن الجعجاعين دائمًا جبناء..

(يذهب وهو مشمئز صوب النافذة)

كرامبتون: (وهو يتبعه) حسنًا ما عليك من هذا لا بد أن ننغمس معهم قليلًا.. هل لديك شيء نرتديه.. يا جرسون..

الجرسون: بكل تأكيد يا سيدي..

(يمكنهما من المرور أولًا..)

هذا الطريق سيدي إلى ثياب التنكر والأنوف المزيفة..!!

كوماس: (في غضب وهو خارج) (سوف ألبس أنفي أنا شخصيًا..

الجرسون: كلا يا سيدي فإن الأنف المزيفة سوف يناسبها تمامًا..

إن بالحجرة كثيرًا من هذه الأنوف، كثيرًا .. من هذه الأنوف..

(يخرج بعد مستر كوماس)

كرامبتون: (يلتفت إلى الشباك ويحاول أن يقول في نداء أبوي إلى فيليب) تعال يا ابني.. تعال يا بني..

(يذهب فيليب)

فيليب: (في ابتهاج تابعًا أباه) سأحضر يا والدي.. سأحضر..

(يقف عند الشباك وتنظر إلى كرامبتون ثم يلتفت والعصا التي في يده ملوية على رأسه في هالة ويقول في صوت خفيض إلى مسز كلاندون وجلوريا) هل شعرتما بهذه العواطف..

(يختفي)

مسز كلاندون: (وحدها مع جلوريا) إنني أعجب لماذا ذهب مستر فالنتين فجأة؟ ..

جلوريا: (غاضبة) لا أعلم.. نعم إني لا أعلم دعينا نذهب لنرى الرقص.

(يذهبان صوب الشباك فيقابلان مستر فالنتين الذي يقبل من الحديقة وهو يسير بسرعة ووجهه متجهم).

فالنتين: (في حدة) اعذروني.. ظننت أن الاجتماع قد انفض..

جلوريا: (متضايفة) ولماذا عدت؟

فالنتين: حضرت إلى هنا لأني أمسيت مفلسًا، ولا أستطيع أن أذهب إلى هناك بدون تذكرة بخمسة شلنات..!!

مسز كلاندون: هل ضايقك أحد يا مستر فالنتين؟

جلوريا: ما عليك من هذا يا والدتي.. هذه إهانة جديدة لي.. وهذا كل ما في الأمر..

مسز كلاندون: (تتبين في صعوبة أن جلوريا تتعمد النزاع معه)

فالنتين: مسز كلاندون.. هل قلت شيئًا تعتبرينه إهانة لك؟ هل ارتكبت شيئًا مهينًا؟

جلوريا: لقد ضمنت حديثك أن ماضي كان مثل ماضيك، وهذه أسوأ إهانة تقدمها لي.

فالنتين: أنني لم أضمن كلامي شيئًا من هذا القبيل لقد أعلنت أن ماضي كان لا يبعث على التأنيب بالقياس إلى ماضيك أنت..

مسز كلاندون: (مغتاظة) مستر فالنتين..

فالنتين: حسنًا.. ماذا تظنين أعتقد عندما أعلم أن مس كلاندون قالت لي الكلام الذي قالته لرجال آخرين خمسة عشاق سابقين بينهم بحار مهذب في رتبة لفتنانت؟ هذا شيء سيء جدًا..!!

مسز كلاندون: ولكنك من غير تأكيد لا تؤمن بأن هذه الأمور التي ليست إلا نكات أطفال – جدية يا مستر فالنتين..

فالنتين: ربما كانت كذلك بالنسبة لك، أو بالنسبة لها.. ولكني أعلم بما شعر به الرجال..

(في لهجة جدية حقيقية)

هل فكرت في الحياة المحطمة والزيجات التعسة التي عقدت في حالة اليأس المتهور وحالات الانتحار وما إلى ذلك؟..

جلوريا: (مقاطعة إياه في استخفاف) والدتي.. هذا الرجل عاطفي أبله ..

(تتحرك نحو المدفأة)

مسز كلاندون: (مصدومة) أوه يا عزيزتي جلوريا.. مستر فالنتين سوف يعتبر هذه إهانة..

فالنتين: أنني لست عاطفيًا أبله.. لقد شفيت من العاطفة إلى الأبد..

(يلتفت في غضب)

مسز كلاندون: مستر فالنتين.. يجب أن تقبل عذرنا جميعًا فالنساء لا بد أن يتخلين عن الأخلاق الطيبة المصطنعة في حالة استعبادهن قبل أن يتحلين بالأخلاق الطيبة الحقيقية في

حالة حريتهن فلا تظن أن جلوريا وقحة، فإنها ليست كذلك..

(جلوريا تلتفت وهي دهشة)

جلوريا: أنت تعتذرين بالنيابة عني له..؟

مسز كلاندون: يا عزيزتي.. أن لديك بعض أخطاء الشباب مثل مالك من صفات الشباب. ويبدو أن مستر فالنتين قديم إلى حد ما في أفكاره عن الجنس الخشن نفسه إلى درجة يمكن أن ندعوه معها أبله.. والآن هل لنا أن نذهب لنرى ماذا تفعل دوللي؟

(يذهب صوب النافذة)

جلوريا: هلي لك أن تذهبي يا والدتي.. أني أحب أن أتحدث إلى مستر فالنتين على انفراد..

مسز كلاندون: (دهشة في احتجاج)! عزيزتي..

(تتذكر نفسها)

أرجو المعذرة يا جلوريا.. بكل تأكيد إذا أردت أنت ذلك..

فالنتين: لو أن أمك تركها زوجها لصارت تستحق ستة من أمثالك..

جلوريا: هذا أول شيء سمعته منك وعرفت أنه.. يشرفك..

فالنتين: اسكتي تعالي وقولي ما تريدين أن تقوليه ثم دعيني أذهب..

جلوريا: عندي ما أحب أن أقوله.. لقد هبطت بي إلى مستواك عصر هذا اليوم.. هل تعتقد أن هذا لو كان حدث فإني لن أكون حارسة على نفسي وأني لن أعرف العواقب وأدرك ضعفي وبؤسي..؟

فالنتين: (يوبخها في عاطفة).. لا تتكلمي عن ذلك بمثل هذه الطريقة.. أنني لم أهتم بشيء فيك قدر اهتمامي بضعفك.. لقد ظننت نفسك مأمونة الجانب برغم أفكارك المتقدمة أليس كذلك؟ فأخذت أرفه عن نفسي بتحطيم هذه الأفكار في لطف ويسر..

جلوريا: (في وقاحة شاعرة أنها تستطيع أن تفعل ما تريد) هل هذا حق؟

فالنتين: أتعرفين لماذا فعلت هذا؟ فعلت ذلك لأني أغريت بإيقاظ قلبك وتحريك أعماقك؟ ولماذا أغريت؟؟ أغريت لأن الطبيعة كانت في جد تام معي في حين أنني كنت أتفكه معها.. وعندما حانت اللحظة الكبرى من الذي أوقظ؟ ومن الذي حرك؟ ومن الذي ثارت أعماقه؟ أنا نفسي؟ كلا فأن نفسي كانت قد أقصيت عنك. أنت

الوحيدة التي أسيء إليك وصدمت، أنك لست إلا فتاة عادية.. عادية جدًا.. إلى درجة أن تسمحي لبحار وديع في درجة اللفتانت أن.. يتمادي معك كما تماديت.. وهذا كل ما في الأمر.. وإني لن أتعبك بالأعذار التقليدية والوداع.. (يذهب في عزم إلى الباب)

جلوريا: قف (يتردد فالنتين) أوه هل تفهم أني لست أعمل على توطيد علاقتنا؟!!

فالنتين: أوه.. أنا أعلم ماذا تنوين قوله، إنك تظنين أنك غير عادية وأني كنت على صواب وأنك حقًا تملكين هذا القلب بصورة.. طبيعية، ولكن هذا الاعتقاد لون من الخداع..

(تتراجع)

حسنًا.. أنني أسلم لك أنك فتاة غير عادية في بعض الطرق..

لأنك أنت فتاة ماهرة..

(جلوريا تقوم بصيحة تدل على الغضب وتتقدم خطوة نحوه وهي مهددة..)

ولكنك لم تستيقظي بعد.. أنك لم تكوني تهتمين ولا تزالين لا تهتمين.. انها كانت مأساتي وليست مأساتك.. الوداع..

(يلتفت إلى الباب في حين تبدو جلوريا فزعة وهو يهرب من قبضتها – يتريث وهو يقبض على مقبض الباب ثم يلتفت إليها مرة ثانية ويقدم لها يده دعينا.. نفترق.. في رقة..)

جلوريا: (وقد هدأ روعها غير أنها أدارت وجهها عمدًا) الوداع وأني أومن بأنك سوف تبرأ من جرحك..

فالنتين: (يبدو عليه أنه سيد الموقف بعد كل هذا)

سوف أشفى.. فإن مثل هذه الجروح تلتئم أكثر مما تضر.. وبعد كل هذا فأني سوف أحتفظ بجلوريا.. ملكًا لي..

جلوريا: (تواجهه في سرعة) ماذا تقصد؟؟

فالنتين: أعني جلوريا التي تتمثل في خيالي.

جلوريا: (في كبرياء) احتفظ بجلورياك.. احتفظ بجلوريا في خيالك.

(تبدأ عاطفتها في الانكسار خلال كبريائها)

أما جلوريا الحقيقية.. جلوريا التي صدمت وأهينت.. وفزعت نعم جلوريا – في صدق تام – التي سيقت إلى الجنون من الخجل الذي يعتريها وهي تصارع المشاعر التي هزمتها في العراك الحقيقي الأول فلن تظفر بها..

(الخجل يتراءى على وجهها فتغطي وجهها بيدها اليسرى وتضع يدها اليمنى على ذراعه الأيسر لتسند نفسها..)

فالنتين: انتبهي.. إنني أفقد مشاعري مرة ثانية..

(تنزل يدها عن وجهها وتضعها على كتفه الأيمن وهي تحركه نحوها وتنظر إلى عينيه في حين يبدأ فالنتين في الاحتجاج في حدة..) جلوريا.. كوني عاقلة.. أليست هناك فائدة وراء ذلك.. لست أملك مليمًا واحدًا في العالم..

جلوريا: ألا تستطيع أن تكسب بناس؟.. الناس غيرك يستطيعون.

فالنتين: (نصف منشرح ونصف خائف) أنني لا أستطيع أبدًا..

إنك سوف تكونين غير سعيدة.. يا حبيبتي العزيزة.. وإني سوف أكون قناصًا للثروة لو أني..

(يشتد ضغطها على ذراعيه ثم تقبله..)

(يلهث).. أوه يا عزيزتي.. إنني لا أعرف شيئًا عن النساء تجربة اثنى عشر عامًا.. غير كافية لذلك (في غيرة تدفعه عنها فينسحب إلى المقعد ويجلس عليه كريشة في مهب الرياح ودوللي ترقص مع الجرسون ويتبعه مستر

فنس ومسز كلاندون ثم يأتي فيليب وهو يدور حول نفسه...)

دوللي: (تختفي على المقعد أمام مائدة الكتابة) إنني مقطوعة النفس (تلهث).. كم أنت جميل في رقصة.. الفالس يا وليم..

مسز كلاندون: (تجلس على المقعد بجوار المدفأة) كيف استطعت أن تجعلني أعمل هذا الحمق يا فنش.. أنني لم أرقص منذ السهرة التي أقيمت في الناحية الجنوبية منذ عشرين سنة خلت..

جلوريا: (توجه الكلام إلى فالنتين) نهض..

(فالنتين ينهض في خفة)

الآن دع عنا هذه الرقة المزيفة.. وأخبر والدتي أننا اتفقنا على الزواج.

(صمت يخيم على المكان – فالنتين أبكم من الفزع، وهو ينظر إليهم في شعور الراغب في الهروب..)

دوللي: (تقطع الصمت) رقم ستة..

فيليب: أش

دوللي: (في ضوضاء) أوه مشاعري!! أنني أريد أن أقبل شخصًا، أريد أن يكون من الأسرة ترى من هو فنش؟؟

كوماس: إنه ليس أنا بكل تأكيد..

(كرامبتون يظهر عند الشباك)

دوللي: (تعدو إلى كرامبتون).. لقد حضرت في موعدك تمامًا.. (تقبله) الآن (تقوده) أدع لهم بالبركة..

جلوريا: أنني لست في حاجة إلى هذه البركة.. ولو على سبيل المزاح.. فإني لو احتجت إلى شيء منها سألت والدتي..

كرامبتون: (إلى جلوريا في خيبة أمل كبيرة) هل أفهم أنك زوجت نفسك إلى هذا الجنتلمان..

جلوريا: (في تصميم) نعم.. هل تنوي أن تكون صديقنا أو والدنا..

كرامبتون: إنني أود أن أكون كليهما يا ابنتي ولكن بكل تأكيد يا مستر فالنتين أتوسل إلى إحساسك الشريف.

فالنتين: أنك على صواب تمامًا.. أن هذا جنون تام.. فلو أننا ذهبنا إلى الخارج معًا لنرقص فأني سوف استدين منها خمسة شلنات لشراء تذكرة الدخول.. جلوريا لا تندفعي.. أنك تقذفين نفسك بعيدًا أن من الأفضل أن أذهب بعيدًا عنكم ولا أرى أحدًا منكم مرة ثانية ولن أنتحر حتى لا أكون بائسًا.. سيكون هذا عزاء لي.. أنني خائف خائف بكل تأكيد وهذا هو الصدق الواضح..

جلوريا: (في تصميم) أنك لن تذهب..

فالنتين: (خارت عزيمته) لا يا عزيزتي.. من غير شك لا.. ألا يستطيع أحد أن يتكلم بعقل لحظة واحدة ويهدينا إلى الرشد فأني لا أستطيع. أين مستر بوهن؟؟ بوهن الرجل؟ أذهب يا فيل واستشر مستر بوهن.

فيليب: سوف أذهب من أعماق قلبي..

(يحرك عصاه في الجو ثم يرى وهو يخرج من خلال النافذة).

الجرسون: (في نغم رحيم إلى فالنتين) لو صفحت عن كلمة أقولها لك يا سيدي لا تجعل خمسة شلنات تقف في سبيل سعادتك إننا نكون سعداء لو قدمنا لك التذكرة. التذكرة بين يديك وتستطيع أن تغتنم.. هذه الفرصة، أننا سعداء للالتقاء مرة ثانية، أنه حضر..

(يحرك عصاه فوق الشباك – بوهن يدخل خالعًا الأنف المزيف ويقذفه على المنضدة وهو يمر بين جلوريا وفالنتين)

فالنتين: النقطة يا مستر بوهن.

كوماس: (مقاطعًا من فوق بساط المدفأة) أرجو المعذرة يا سيدي، النقطة يجب أن يعرضها له أحد المحامين والمسألة

هي مسألة خطة بين هذا الفتى وهذه الفتاة وهي تملك الثروة.. (ينظر إلى كرامبتون)

ومن المحتمل أنها سوف تظفر بنصيب طيب كذلك..

كرامبتون: هذا ممكن أرجو ذلك.

فالنتين: لكن ليس للشاب أطماع على الأطلاق..

بوهن: (موجهًا فالنتين إلى هذه النقطة في الحال)

إذن فأصر على حل لهذه المسألة، وإن كان هذا يتعارض مع رقتك واتخذ الاحتياطات العاقلة جدًا.. ولكنك تستشيرني، وتسألني النصيحة، وأنا اعطيها لك وأنصحك أن تجد حلًا لهذا الموضوع.

فالنتين: يا سيدي الكريم.. أنني لست أسأل النصيحة لنفسي، أنني أسألها لها فأعطها بعضًا منها..

بوهن: انها لن تقبلها، وعندما تتزوج فأنها لن تأخذ بنصيحتك.. (يلتفت فجأة إلى جلوريا)

وأنت كذلك لن تأخذي بها.. أنك تظنين أنك سوف تفعلين ذلك ولكنك لن تأخذي بنصيحته لأنه.. سوف يقبل على العمل ليكسب عيشه في شغل عنك..

(يلتفت فجأة إلى فالنتين)

نعم أنك سوف تفعل ذلك.. أنك تظن أنك لن تفعل هذا ولكنك على النقيض من ذلك سوف تفعل، لأنها سوف تخلقك.

كرامبتون: (وهو نصف محرض) أذن يا مستر بوهن أنت تعتقد أن هذا الزواج لم يكن من العقل.

بوهن: كلا إنني أعتقد أنه لم يكن يعقل، وأن جميع الزيجات ليست من العقل فمن غير العقل أن تولد.. ومن غير العقل أن تتزوج.. ومن غير العقل أن تعيش.. ومن غير العقل أن تموت..

الجرسون: (متدخلًا بين كرامبتون وفالنتين) بعد ذلك هل تأذن لي بكل احترام أن أضع كلمة فوق ذلك وهي أن هناك أشياء كثيرة سيئة بالنسبة إلى العقل.

فيليب: أئذنوا لي أن أرى ما إذا كانت جلوريا واثقة أم لا

دوللي: لقد حسم الأمر.. وأنهى أمر فالنتين ونحن الذين حرمنا الرقص..

فالنتين: (إلى جلوريا في رقة بلغت الذروة) هل لي أن أراقصك؟؟

بوهن: (يتدخل والنغم يدور)

أرجو المعذرة.. أنني أطمع في التمتع بهذه الميزة بدلًا من دفع مصروفات المجلس فهل لي بهذا الشرف؟ أشكرك..

(يرقص بوهن مع جلوريا ويختفي خلف المصابيح تاركًا فالنتين وهو يلهث)

فالنتين: (يستجمع أنفاسه) دوللي هل لي..

(يقدم نفسه كزميل لها في الرقص)

دوللي: هذا هراء..

(تتجنبه وتجري حول المائدة إلى المدفأة)

فنش!! (ترتمي على كوماس وتدفعه إلى الرقص)

كوماس: (محتجًا).. أرجوك أن تتمهلي! حقًا تمهلي.. (يرقص من خلال النافذة وهو تعب..)

فالنتين: (يعمل جهدًا أخيرًا) مسز كلاندون.. هل لي

فيليب: (يحتكر أمه) تعالي يا أمي

(يمسك أمه يراقصها ويدور بها).

مسز كلاندون: (محتجة) فيل..

(تشارك مستر كوماس في تعبه)

كرامبتون: (يتبعهم وهو يصرخ في مرح) هو هو.. هي هي

(يذهب إلى الحديقة ضاحكًا)

فالنتين: (يصطدم بالمقعد العثماني وينظر إلى الجرسون) يمكن أن

أكون رجلًا متزوجًا.

الجرسون: (متأملًا انهزام الصراع الجنسي في رأفة لا توصف)

ابتهجوا.. ابتهجوا.. أن كل شخص يخاف من الزواج عندما يبلغ نهايته.. ولكنه في الغالب يكون مريحًا.. ممتعًا.. سعيدًا.. حقًا يا سيدي أنني لم أكن أبدًا سيدًا في بيتي.. وكانت زوجتي مثل فتاتك.. كانت ذات طبع يحب القيادة والتسلط ورثه عنها ابنها لا غير أني لو عشت مرة ثانية فإني أتزوج مرة ثانية.

أنا أؤكد لك هذا.. فأنت لا تدري.. لا تدري..

ستار

الفهرس

شخصيات ٥

برنارد شو ومسرحيته. . تصدير ٧

الفصل الأول ١٧

الفصل الثاني...................................... ٧٥

الفصل الثالث ١٥١

الفصل الرابع ١٩٥